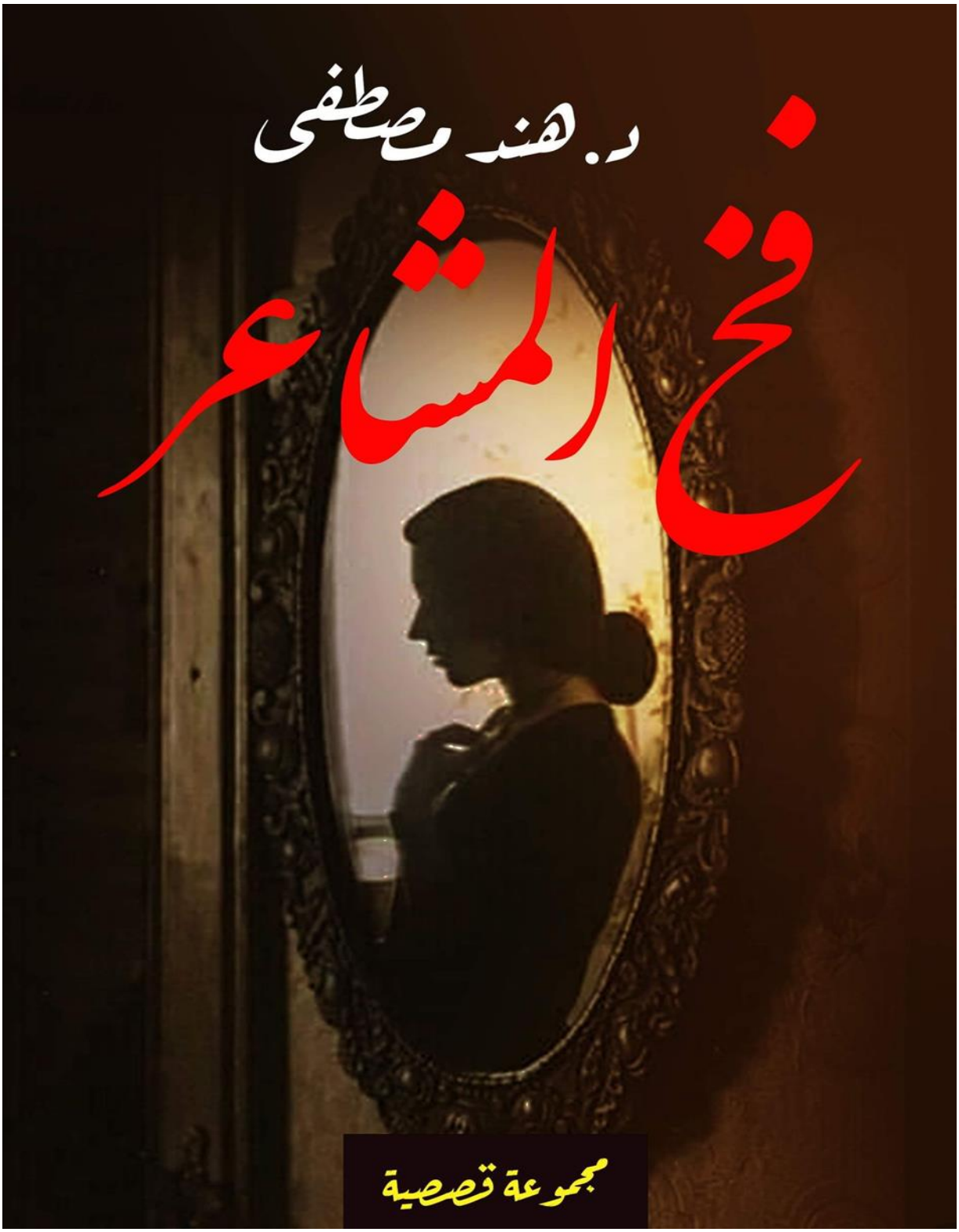
د. هند مصطفى
فخ المشاعر
مجموعة قصصية

فخ المشاعر

مجموعة قصصية

بقلم/ د. هند مصطفى

مقدمة الكتاب

هذه دعوتي

أولئك الذين ليسوا من هواة قراءة مقدمات الكتب..
هذه ليست مقدمة هذه دعوة مفتوحة أتمنى أن لا تفوتها كي ترى ذلك الذي في البعد الآخر، هذه دعوة لتأمل حكايات البشر حولنا ، دعوة لتغيير منظور رؤيتكم المعتادة وإلقاء نظرة إلى الأعماق فقد يفاجئك ما قد تكتشفه وقد يغير مفهوم نظرتك للأبد
(فخ المشاعر)
لطالما تعثرت في هذه الأفخاخ، ثم اكتشفت بعد العديد من العثرات أننا معقدون جدا من الداخل، وبعيدا عن علم النفس وعلم الاجتماع وأرائهم ، فهذا رأى إنسان ، أنا مجرد إنسان ، وما أراه أن مشاعرنا معقدة جدا من الداخل ، عدد تلافيفها أقسى كثافة من تلافيف عقولنا، فلا يستطيع أحد تحليل المشاعر أو وصف شعوره بسهولة.
إننا في مجموعة دوائر متداخلة ومتشابكة هشة وناعمة وبلا ألوان قبل أن تُصبغ ليس فقط بالخبرات بل بانطباعتنا نحن تجاه هذه الخبرات، ولأننا مختلفون فالبعض مشاعره قابلة للجرح والشرخ والكسر والإذلال والبعض مشاعره تقاوم قابلة للترميم والتجديد والعودة من جديد لذلك نفس المشاعر قابلة للصباغة بكل الألوان لدى الأشخاص المختلفة بقدر اختلاف نظراتهم للأمور.
كلنا نملك أدوات ترميم لمشاعرنا ولكن قدرتنا مختلفة عند استخدامها خاصة في المرة الأولى، قد يبدو"الإيمان والصبر والرضى" أدوات محبطة المذاق في أول التجربة ، لكن النسيان هو دائماً سيد الموقف الذي لا يخيب أحد.
نجد دائما دائرة أصلية كبيرة نقية نبيلة تترسخ فيها مشاعرنا الأولى قبل أن تتفاقم منها بعض الفقاعات التى تتوالد وتخرج للسطح قد تختفي سريعا وقد لا تختفي قبل ترك بصمة وصبغة وموقف ثابت تجاه بعض الأشياء، هذه المشاعر المؤقتة التي تبدو تافهة وصغيرة وقد لا ندركها هي ما تحكمنا في الحقيقة و باستمرار وتغلبنا و نتخذ منها معظم قرارتنا الأساسية لنجد أنفسنا دائما نقع في نفس الفخ، فخ المشاعر.
تمييز هذه الفقاعات من المشاعر وتجاوزها يحتاج لكثير من "النضج العاطفي" ، علاقة سليمة متبادلة بينك وبين نفسك أولا قبل تبادلها مع الآخرين ويحتاج أيضا لأن نقع أولا في الفخ أحيانا لنستطيع تمييزها لاحقا.

وفورة مشاعر هذه الفقاعات هى ما يميز معادن الناس الحقيقية ، لأنه دائما هناك خلط بين الدوائر الأساسية والفقاعات الخارجية ، فنكره ونحب نفس الشخص و نغضب ونعيش مع نفس الشخص ، و نشمئز ونتعايش ولا ندرك أن الأصل أننا نحب لكنها فقط فورة مواقف أثارت مشاعرنا....

نحن نخلط بين الحب والامتنان، وبين المعروف والواجب وبين الأصل والصورة، حتى نلتقي الحقائق المؤلمة.

نغضب عند الموت و نخاف أن نحزن، نرى خواء حياتنا ، نرى أطلال ذكرياتنا ثم نمتلأ حسرة على الأماكن الفارغة، ثم تمتصنا دائرة الاشتياق، قبل أن نكتشف أنه كان لا بأس أن نحزن ونأسى على أنفسنا.

هذه الفقاعات دائما تخفي الحقيقة، فالغضب يخفي حبا وحنينا، والكبرياء يخفي ضعفا، والسخرية تخفي وجعا والابتسامة تخفي دمعاً، والعنف يخفي خوفاً والتعالي يخفي ضعفا.

هذه الفقاعات تحول دون رؤيتنا لحقيقة الأشخاص أمامنا ، فنحن نرى منهم مجرد فقاعات أكثر مما نعلم عن دوائرهم الحقيقية ، لا ندرك أن هناك دائما وجه آخر لكل عملة، لكل شخص بالحياة، و في الأعماق كائن آخر قد لا تعلمه ولا تراه، هناك في أعماق كل شخص وجه آخر شديد الهشاشة والضعف وعميق المعنى والإحساس، غير ذلك الوجه الصلب البارد اللامبالي الذى يظهر أمامك.

ومنها تأتى ازدواجية الشخصية وازدواجية المعايير التى تتقمصنا ولا نشعر بها، لا أحد يتعمدها ،هى غالبا فقاعات تخدعنا، فنخالف أنفسنا وقراراتنا الطبيعية.

هذه الفقاعات هي المحرك الأساسي لتكوين أحكامنا علي من حولنا، وكم نعشق في مجتمعنا إصدار الأحكام، لكن كم ستندهش عندما تعلم أن رأيك الذى تكونه عن الآخرين يخبر عنك أكثر مما يخبر عنهم، يخبر عن مشاعرك ودرجة إدراكك وتحكمك فيها، عن ما استطاعت هذه الفقاعات تشويهه داخلك، كيف استطاعت هذه الفقاعات داخلك أن تخدعك.

ومن أكثر الفقاعات المثيرة للجدل والإعجاب والتأمل والسخرية (فخ الأمومة .) فتلك الأم التى لم تقضى عليها فقاعات اليأس وتأنيب الضميروجلد الذات والشعور بالذنب والتقصير مهما أعطت، لم تخلق بعد،...

أيتها الأمهات كفاكم جلدا للذات، فلم توضع الجنة تحت أقدامكن عبثا....

هذه الفقاعات أيضا هي محرك قرارتنا المصيرية علي مر تاريخنا، قرارات مثل الزواج والطلاق والسفر والتخلي والبعاد، لذلك كثيرا ما نندم وتؤلمنا قراراتنا، كانت قرارات لمشاعر مؤقته فقاعة سريعا ما تختفي وحين ترحل المشاعر لا تبقي وراءها إلا النتائج الكارثية،

وهنا الندم لا يفلح كثيرا، فلو أعاد التاريخ نفسه لاتخذت نفس المشاعر بنفس القرارات، لذلك النفع الأساسي هنا أن نتعلم

لأن نفس الفقاعات تتكرر باستمرار في المستقبل، فلكل شخص نوع معين من فقاعات المشاعر تطغي أكثر من الأخرى، فحاول النظر إلى حياتك، تعلم من فقاعاتك، تعلم من أخطائك.

لم تخلق الأخطاء كي نندم...

تخلق كي نتعلم وتأنيب الذات لا يثمر شيئا، إلا الكثير من الضلال فنحن لا نملك عصا سحرية لتغيير الماضي، ولا يجب أبدا الندم علي أخطاء صنعتنا وجعلت منا ما نحن عليه الآن، لا يمكننا العودة إلى الماضي لو عدت إليه لكرهته بطريقة أخرى ولا يمكن الندم علي مرور بعض الأشخاص بحياتنا، فهناك أشخاص قدر لنا لقاءهم فقط لنكتشف أنفسنا ، انتهى الماضي لكن مازال بإمكاننا التأثير في المستقبل.

الآن أريد منكم الإبحار معي في بعض أفخاخ المشاعر التى لابد أن واحد منها علي الأقل مر يوما بحياتك.

كيف أخبرها عن هذا الزائر؟

لم أكن نائمة...
لكنى كنت أسند ثقل أفكار رأسي علي وسادتى، أصبحت أعجز عن رفعها بين كتفي كثيرا، كان هذا حين سمعت طرقات الباب الشديدة.
لم أتفاجأ كثيراً عند فتح الباب، لم يكن هذا المنظر غريبا، ليست المرة الأولى.
لكنى الآن.....
لكنى لم أعد أستطيع تحمله كما السابق.
_مرة أخرى؟
رددتها بثقل و بلا مبالاة، لم ترد بل دخلت مطأطأة الرأس، صامتة وهى تميل على أحد جنبيها من ثقل حقيبة تحملها، يتضح لمن يرى حجمها أنها تنوى البقاء طويلا.
كيف أخبرها أن جدران هذا البيت لن ترحب بها بعد الآن ، أكاد أسمع استغاثة فرشه لن يتحملها، لم يعد لها هنا ما تعود إليه ومن أجله.
أنا أستعد لإستقبال ضيفاً جديداً، أصبحت لي حياة أخرى، كيف أخبرها عن هذا الأمر ؟؟؟؟؟
_أصبح الرحيل نهائى يا أمى، لم يعد بيننا ما يستحق العودة من أجله.
قالتها وهى تبكى وتجهش بالبكاء، وأنا صامتة أنظر إليها ، يالله ، لم أخترت هذا التوقيت لتفسدى حياتك وتقتحمي حياتي، إن لي حياة مختلفة الآن ولا أعرف كيف أخبرك عنها وعن زائري ؟.
انقضت عدة أيام لنا معاً وبعدها أيام ولا يخيم علي البيت إلا الصمت.
لا قوة لى ولا طاقة للحديث ولا السؤال وهي سخرت كل طاقتها فقط للبكاء، والأيام تمر، لعلها تشعر بأنه لم يعد مرحب بها ، فلا تجد لها ونيس إلا الصمت والدموع، لعلها شعرت برفضي ومحاولتي إخفاء الأمر بلباقة ومحاولة إخفاء أمر ضيفي الجديد ، والأيام تمر، همها يزداد وشعوري بالذنب يزداد، هل ستعذرني، هل ستفهم أني مضطرة ، أني مثلها تماما ضعيفة ومقيدة، ليت نظرتها هذه تكف عن لومي وأنا ابتعد عنها، آسفة لأن حياتى لم يعد فيها متسع لها، لي حياة جديدة الآن ولابد لها أن تعرف.
ولكن أى نوع من الأمهات أنا لأتركها خلفي وحدها و أرحل.
عليَّ الآن أن أخبرها عن هذا الزائر كي تفهم.
ضيفاً جاءنى علي حين غرة وعلي غير استعداد، اقتحم حياتى بكل قوة فلم أملك مقاومته، لعل سنوات الوحدة أضعفتني وألغت قواى ،لابد أن أعترف أنى استسلمت..
لكننا بشر ..

خلقنا ضعفاء، وأنا لم أقوى علي رفضه، على رده ، على غلق بابي بوجهه، لعلها تشعر الآن اضطرابي ، وخوفي، وخجلي منها، لعلها تشعر أني اضطررت لوضع وجه إصطناعي، ضاحكا، وابتسامات صفراء باهتة لا تعنى شيء ولا تخفي إلا إحساسي الشديد بالذنب تجاهها والضعف والخذلان .

أحاول استقباله دون أن يشعر من حولي أني أتغير.

حين دخلت إبنتى حجرتى كعادتها في هذه الأيام كئيبة الوجه حزينة الملامح لم أملك الجرأة مرة أخرى أن أخبرها بانتقال هذا الأخير إلى منزلنا بعد ، أنظر إلى وجهها التعيس الحائر وأتساءل:

كيف أخبرها عن هذا الزائر؟

حينها قالت:

أتألم يا أمي، لا أقوى علي هذا الألم في قلبي، أشعر أني انكسرت بلا رجعة.

نظرت إليها وفي قلبي كل الحسرة ما أدراها صغيرتي عن معنى الألم الحقيقي ، وانكسار الحياة بلا رجعة، ليتني أخبرها الآن لتفهم، لكني لا أستطيع، ولم أمتلك الشجاعة لمواجهتها بهذا الأمر بعد، ليتني أعلم متى وكيف أخبرها عن هذا الزائر ؟.

عادت تقول:

_موجوعة يا أمي.

غرزت سكينا بارداً في قلبي ، هي لن تعلم ما الوجع الحقيقي قبل أن تحب وتكون أم، دموعها تتساقط ويزداد معها ثقل همى، نظراتها تتوسل أن أقطع صمتي الذي لم تعتاده، اضطررت لقطعه دون أن أملك القوة لأخبرها ، اكتفيت أن أقول:

_إنها الحياة حبيبتي ليس كل ما نتمناه نجده، هناك ما ستخسرين طوال الحياة في كل يوم ، حتى تخسري يوما ما كل الحياة.

أردتها أن تتعلم هذا جيدا، تحفظه ولا تنساه، كنت أتألم لها أكثر من تألمى لحالي وأنا أتساءل ، كيف ومتى أخبرها عن هذا الزائر ؟

كلما هممت بإخبارها تخوننى الكلمات وتنطلق عبارات أخرى، كأن هناك بداخلي ما يخرسنى، مددت يدي إلى وجهها أجفف دمعها وأنا أخبرها:

_حبيبتي ، لا تحتاجين سوا إيمان ويقين فلا ملجأ لك الآن إلا الله، إن الله لا ينسي قلباً لجأ إليه.

لساني ينطق بالكلمات وعقلي يتساءل متى وكيف أخبرها عن هذا الزائر ؟

مددت يدى احتضن يديها الباردتين بكل مخزون الأمل الاحتياطى الكامن في أعماقي أتمنى أن أهديه إليها، لتستعيد توازن نفسها قبل رحيلي، يجب أن تستعيد قواها لتحمل هذه الصدمة القادمة.

لكن ليس الآن ، لن أخبرها عن زائرنا الآن.

فهذا الضيف الثقيل ينافسنى فيها و يفرض داخلي معركة غريبة لدرجة أني عاجزة عن فهم استسلامى وضعفي ، لعلي لم أهتم بحياتي لأني اعتقدت أنها لم تعد تحتاج لوجودي، وانا كنت اهتم لحياتى فقط من أجلها.

أتمنى حياتى الآن لأجلها فقط وأتمنى رحيل الموت من أجلها فقط، لا أخاف وحدتى في قبري بل أخاف وحدتها في هذه الحياة بعدى.
لا أحب خوض المعارك ولست من هواة القتال ، لكني سأضطر لخوض هذه المعركة من أجلها وسأقبل هذا الحل المنتصف بين قبول نصف الحياة وبعض الموت كي أفوز بعدة أيام إضافية حتى تستعيد توازن نفسها.
سأقبل معركة الإشعاع والكيماوى ليس لأنى اتمنى الشفاء، بل لأنى أصبحت في حاجة لبعض لحظات إضافية جوارها ، لأني أخاف من اللحظة التى أتركها خلفي وأرحل.
بضعة أيام أخرى فقط وأخبرها عن ضيفي الجديد، عن هذه الكتلة من الورم التي قررت اقتحام جسدى وهزيمتي وإنهاء حياتي.
بضعة أيام أخرى وعند موعد أول معاد لي بالعيادة سأخبرها عن هذا الزائر.

علاقة خاصة

كانت عبارتها واضحة :
_أنتى رفضتيه فرفض هو الدنيا.
قالتها بكل فخر، فلقد وجدت مفتاح اللغز ، وعلقت حول رقبتي مشانق الذنب للأبد.
دخلت حجرة العمليات فجأة...
كان دخولاً مبكراً عن الموعد المحدد ، كنت أرتعش من الخوف والبرد معاً، تجربة جديدة وكل شيء يمر سريعاً جداً ولا أعلم أى ذنب اقترفته لأعيش هذه التجربة المخيفة .
فتحت عيني وقد بدأ مفعول المخدرفي الزوال، ولكنى مازلت ارتعش، ذهب الخوف وحل محله الألم، آلام رهيبة لم أعلمها في حياتى من قبل ومن جوارى طفل صغير مغطي بطبقة بيضاء يبكى، أنظر حولي كمن ينظر من وراء شاشته علي فيلم سينمائى.
أمر جلي يحدث ،
لكنه لا يخصنى .
لا أشعر سوا رائحة المخدروالمطهرات، وأصوات الفرحة المهللة، وزحام آلامى مختلطاً بأصوات سعادة من حولى تزعزع نفسي .
في اليوم التالي، حان موعد عودتى الي البيت .
عدت..
لكنى ما عدت أنا .
عاد داخلي كائن آخر لا أعرفه ،كائن أسود يغلف نظراته اللون الاسود لكل ما حوله، كائن متخاذل يتألم ويشع إحباطاً وسلبية ، لم أفهم هذه الأحاسيس ولم أفهم ما يحدث داخلي وما السبب ،لكنى فهمت أن نظرتى لكل ما حولي تتغير، وأن بكائي لا ينقطع، وأن وجعي لا يندمل .
هذا الطفل الذى لطالما أنتظرته..
وجدتنى لا أريده، لا أحب حمله وهدهته، لا أطيق بكاءه ولا أطيق وجوده ،ثم نظرت إلى زوجي، فتعجبت كيف أعيش مع هذا الكائن ، وجدتنى أكرهه، ثم أكرهه، ثم أكره أن أرى وجهه وأشم رائحته .
تغير شيء عميق داخلي لم أستطع تفسيره ، مرت علي عدة أيام وأنا أسيرة هذه المشاعر ، كنت كتلة وجود تتألم وتبكى وترفض وتكره ،وابنى يرفض الرضاعة، فتدور عليّ نسوة العائلة ضاحكة بتهكم.

كل من حولي يخبرنى نصيحة ، وأنا لا أريد أن أسمع أو أرى، لا أريد إلا أن أُترك في حالي، أن يرحل الجميع عني بما فيهم هذا الطفل .
التهكم حولى والسخرية، السماجة والسخافة ،الضحكات والسعادة، الشموع والحلوى ،
وأنا محبوسة النفس داخل قوقعة لا أعلم متي دخلتها، لا أحد يشعر ما في نفسي، ولا أحد يفهم ما أعانى، مجرد خيالات لإناس اعتدت أن أراهم وما عدت أعرفهم .
"من أنتم"
كان هذا حديث روحى دائما ،
ومن هذا الكيان الصغيرالباكى القابع داخل هذه اللفائف ، لماذا يبكى كثيراً جداً،
ظل هذا حالي أيام متتالية، ثم حدثت المعجزة...
حدث فجأة أن شعرت بحاجة إلي إحتضان هذا الكيان الصغير الجميل أمامى ، فجأة حدثنى هاتف داخلي (يالله ...ما أجمله) أحتضنته بشدة، وقبلته ، قبلته دموعى، ثم أرضعته ،لأول مرة .
مازلت هذه الذكرى محفورة في عقلي، نظرته إليَ في رضاعته كانت تقول:
(أمى أين كنتي)
لا أعلم عزيزى أين كنت، لكنى أعلم أنى بت هنا بجوارك ولا أنوى التخلي عنك ، هذا ابنى الصغير يكبر أمامي ، شهراً وراء شهر لكن كل شيء به بدا مختلفاً عن الأطفال التى أعرفها، فهو لا يتواصل، لا يهتم، لا يلتفت ولا ينظر إلى شيء بإهتمام
لا شيء يلفت نظره أكثر من مروحة تدور أمامه، يجلس ينظر إليها ساعات ولا يتحرك، كان يبكى كثيراً بلا سبب، مضطرب النوم والمزاج، لم يكن هنا معنا في نفس الحياة، شعرت أن به شيء غريب، ولم أستطع تفسيره .
في نهاية سنته الثالثة شخصه طبيب "بالتوحد"
لم يكن ذلك سهلاً ، أو متقبلاً، أو لطيفاً لأسمعه .
لم استسلم للفكرة بسهولة عرضته علي الكثير من الأطباء ، حتى قالت هى لي هذه العبارة التى تتردد في رأسى كل ثانية علي مدار حياتى
(أنتِ رفضتيه فرفض هو الحياة)
ماهذه القدرة للمشى فوق قلبي، ودهس مشاعرى ، دون مبالاة ، لم أكن أعلم أبداً أنى رفضته ، وقعت أسيرة الإحساس بتأنيب الضمير والوجع والمعاناة....
اللوم المستمر والتوبيخ...
والإحساس بالخيبة والإحباط....
ولم يساعدنى الكون حولي، فقد كنت دائما متهمة بسوء الرعاية، وكنت هدفاً للنصائح المستمرة، حقاً لا يستطيع النصح إلا من هو خارج المصاب، لو كان فيه لخرس،لم أعد اتحمل الكون من حولي والثقل والإتهام والنصائح التى لا تنقطع .
وأحكام الناس التى لا تهدىء، لما لا يهتم كل إنسان بشأنه، و كيف يحكم الناس علي أعماق حياة لم يروا منها إلا شواطئها .

رفضت بعدها أن أنجب مرة أخرى، لم أكن علي استعداد لتكرار التجربة، كان أهون علي أن يتزوج زوجى فتهديه غيري صبياً سليماً
علي أن أكرر هذه المأساة ،
لم يستسلم زوجى، أصر أن نذهب إلى طبيب أخر ،
كان طبيب صغير السن، ولم أقتنع أنه يعلم ، لم أقتنع أنه سيفيدنى أكثر من الباقيين ،
رفضت الذهاب في أول الأمر لم أكن أستطيع سماع المزيد، همومى وحمولي قد وصلت للحد وفاضت، ولا أستطيع حمل المزيد والتحامل علي نفسي ،لكنه أصر وجرنى إليه أنا وابننا، وسمع منى، كنت أحكي ولا أهتم بما يراه .
لم أعد أبالى برأى أحد ، أو يهمنى رأى آخر، أرمى الكلام والحقائق ،كنت أكبها لا أنطقها، أنهيت كل ما أستطيع قوله ،وحكايته ثم نظرت إليه متحفزة فنظر هو إلى مبتسماً بدوره و قال لي :إن العلاقة بين الأم وطفلها عميقة، هى علاقة خاصة جداً، لكنى لم أسمع يوماً بهذه النظرية ولا أعلم ما مصدرها أو مدى صحتها، هل تعلمى بما كنتى تمرين في هذه الفترة؟
أومأت برأسي بالنفي، ولم أتكلم .
أكمل فقال:
-كنتِ تمرين باكتئاب ما بعد الولادة، نوعا من أنواع الاكتئاب التي تحدث بعد ولادة الطفل، واكتئاب ما بعد الولادة حالة شائعة ونعلم أن هنالك ما بين عشرة إلى خمسة عشر امرأة من كل مائة امرأة تضع طفلاً وتصاب بهذه الحالة .
طأطأ رأسه أسفا قبل أن يكمل:
-المشكلة أن الغالبية لا تعلم ولا أحد حولها يفهم ولا تتلقي المساعدة المناسبة، لا يبحن مع الآخرين بأحاسيسهن .

نظر إلي،
يود أن يتأكد أنى أفهم ، ثم أكمل.:
ويمكن أن تسبب هذه الأعراض الشعور بالإرهاق في الوقت الذي يحتاج فيه الطفل لكثير من الرعاية والانتباه، إذا كنت قد أصبت باكتئاب ما بعد الولادة فستشعرين بالحزن وبالانزعاج واليأس، البكاء بكثرة، فقدان الشعور بالمتعة والسعادة ، الشعور بالقلق والذعر ستفقدين الشعور بالطريقة التي يجب عليك الشعور بها تجاه طفلك .
مال بجسده للأمام علي مكتبه ونظر إلى عيني مباشرة وأكمل:
هل تفهمين ذلك، لم يكن ما فعلته ذنباً كان فقط مرضاً، مرحلة تمر بها بعض النساء، كنت بحاجة إلي المساعدة ، ولست بحاجة إلى لوم نفسك أو الإحساس بالندم ،صدمت للحظات وخيمنى صمت عميق وأنا أنظر إليه ، لا أصدقه تماما ، أو أنى أشعر بالذنب لدرجة يعجز عقلي عن الخروج منه بهذه السلاسة .
بعد فترة خرج صوتى أخيراً
خرج ضعيفا، متخاذلا، وأنا أغالب نفسي كي لا أبكي:
أشعر فقط أنى كنت سيئة فعاقبني الله فيه وبه .

نظر إلي نظرة أسف وهز برأسه رافضاً ثم قال :
لم يكن عقاب كان منحة، إن الله لا يضع علي غصناً ثماراً لا يستطيع حملها، هو ثمارك وليس ذنبك أو عقابك، هو عطية، أمانة وضعها الله بين يدك لأنك الأجدر بحملها ،
لأنك الأفضل ولست الأسوء ،اختصك به الله، لم يجد من هو أفضل منك لرعايته، كان هذا رحمة من الله بهذا الطفل، إن هذا المرض قدره ونصيبه في كل الأحوال، وإن كنتِ تألمتِ قليلا فالألم ينقي النفس ويسمو بالروح، الألم هو الطريقة الوحيدة للتعرف علي لطف الله ومدى قربه .
صمت للحظات وجيزة، كمن يعطينى فرصة لاستيعاب هذا الكم من التغيير فى نظرتى للأمور ،بعدها قال:
ما أحزن الله عبداً إلا ليسعده وما أخذ منه إلا ليعطيه وما ابتلاه إلا وقد أحبه .
لم أستطع أن أغلب دموعى ، هنا ، قلت وأنا أجهش بالبكاء
قلت : أنا فقط متعبة، قد أرهقتني محاولة الصبر .
فقال: وما بعد الصبر إلا الفرج، إذا رأيت الله يكثر عليك الشدائد فاعلمى أنك عزيزة لديه ، هناك تلك القاعدة المعروفة في علم النفس و التى دائما أذكرها لنفسي .."إن الإنسان أكبر من أي محنة في الحياة"....عليك فقط الخروج من تلك الزاوية الضيقة التى تنظرين منها الي الامر ورؤية الأمر بمجمله .
فلم تُخلق بعد تلك المحنة التى تستطيع القضاء علي حياة إنسان.
خرجت من عنده وأنا أشعر أنى ولدت من جديد، لون الكون اختلف ،شعرت لأول مرة ببعض التقدير لذاتى، ورحلت عني نسبيا عقدة الذنب، قد يكون كلام هذه المرأة صحيح وقد لا يكون ، لكنى لم أكرهه.....
ولم أرحل عنه عامدة...
كنت فقط قد رحلت عن نفسي مؤقتا...
كنت فى رحلة غيبية دون إرادتى .
ولم أعلم ما أمر به، لو علمت لأدركت بعض المساعدة .
ثم لم أعد أبالي بكلام الناس حولي .
لا أهتم بالاتهامات أو النصايح، أو محاولات البعض لتعكير مزاجى، لم أعد أبالي سوا بعطية الله لي، أن أمد بيننا أواصر الصلة وأساعده في العلاج وصممت أذنى عن كل شيء في الكون حولي .
في النهاية تشجعت ليكون لدى طفل جديد ،
لأتلقي عطية جديدة من الله، وكلي أمل في رحمة قضائه .

غمضة عين

جلست تحتسي قهوتها كعادة كل يوم في الصباح، تبدأ نهارها برائحة انتعاشها الطيبة ، ترتب أفكاراً لأعمال يوم طويل لن ينتهي، الآن هي مشغولة جدا .
مشغولة بأولادها، عملها، مشاريع يومية لا حصر لها ، حتي أنها نست الأصدقاء والأقارب، لا تدرى متي تحدثت إلى أمها آخر مرة، أو متي جلست معها دون أن تكون في عجلة من أمرها، دائما مشغولة، انشغال لا ينتهي، تتمني لو تتضاعف عدد ساعات يومها فتدبر كل أمورها دون عجلة....
تحاول أن تتذكر كيف كان يومها من خمسة عشر عاما....
كانت تقضيه مع صديقاتها، لم تكن لحظتها تتخيل أن تفارق هؤلاء الصديقات أبدا، بعضهم ما عادت تدرى عنه شيئا، بالكاد تتذكر ملامحهم، كان وقت الشباب والمرح واللامبالاة بالمسؤوليات.....
تتذكر خلافاتهن، مدعاباتهن ، دراسة وامتحانات وأحلام غزلوها سوياً، تتذكر كيف دللها أمها وأبوها ثم انشغلت عنهم بالأصدقاء، أين ذهب كل هذا الآن، كأنه لمحة بصر، غمضة عين .
مرت بها كل هذه السنين كأنها كانت نائمة، ثم الآن هى مشغولة بكل ما حولها إلا نفسها .....
تأخذها أفكاراً، تتخيل كيف سيكون يومها بعد خمسة عشر عاماً أخرى، أبنائها، لا تدرى كيف سيصبح حالهم، ولكنها تعلم أنه لن يبكي أحدهم لتحتضنه ليلاً وتنام جواره، لن يمشي أحدهم كظلها في كل ركن من أركان المنزل كأنها ستختفي، لن يهرول إليها أحدهم ليلاً خوفاً من حلم أو شبح في الظلام، ستكون محرومة من إزعاجهم الذي ضاقت به الآن، تعتقد أنها ستفتقد ضوضاءهم هذه بشدة في صمت وحدتها بعد أن يرحلوا لانشغالاتهم، وتعلم أن لن يقبلها أحدهم بشغف مثل الآن،
غالباً سيرفضون الخروج معها ، وأحاديثهم المزعجة الطويلة التى تضيق بها الآن، سيضيقون هم بها غداً، سيكون وقتهم، أحاديثهم ونزهتهم للأصدقاء، ومن يأتيها يدق باباها سيكون في عجلة من أمره لأنه مثلها تماما الآن "مشغول".
هى غمضة عين أخرى لتصل إلي كل هذا، سيمر الوقت دون إرادتها أو إدارتها.....
أنهت قهوتها ..دفنت أفكارها.. ...وبدأت أعمال يومها كالمعتاد.

رسائل بلا وصول

في يوم قرر الزواج، بدأ حياة جديدة نظيفة بعد أن سأم طيش الشباب والعزوبية ، ثم لم يكن اختياره ساذجاً مبنى على عواطف جياشة، اختار بعقله ، فتاة في بداية العشرينات حسده الجميع علي جمالها ، وطاعتها وأخلاقها ، تتمتع بكل المميزات التى يطلبها، أعطاها شرف الارتباط به، في المعضلة الاختيارية التى وضعها حصلت فتاته على هذا الشرف، كانت مبتسمة ضاحكة بشوشة مرحة منطلقة ، كل ما بها مطابق للمواصفات.

فكر في ذلك وهو يجلس مكوماً في مكانه لا يقوى جسده علي حمله ، الرجل القوى يبكى وتنهمر دموعه كالأطفال ، لم يبكى عمره كله ، لا يدرى كيف ومتى حدث هذا ولا يدرى ماذا يفعل الآن ، كيف يتصرف الآن عاجز عقله عن التفكير أو الرؤية بعد أن قرأ هذه الخواطر.

...عاجز عن التصرف.....

زوجته الحبيبة ، التى لا يتخيل الحياة بدونها ، التى يعشق صبرها وزهدها ورضاها، التى تتحمل ولا تجزع ولا تمل ولا تكل ، كيف واتتها الجرأة لتزلزل عالمه كله وتنفي كيانه وتحطم رجولته وتسقطه من أعلي تلة كبريائه .

دائما تبذل كل جهدها من أجل بيته وابنه، كيف تتجرأ وتطفىء إشراق حياته، تاركة كونه مظلما يغوص بالوحل، لم يكن يعلم أنها قد تملك هذه الاخلاق القذرة، الحقيرة ، ظن أنها امرأة فاضلة بصلاتها ودعائها ومصحفها، ها هى الحقيرة تظهر الوجه الآخر الذى لم يعرفه يوماً ، ما عذرها ، وكيف يواجهها وينظر لوجهها .

حتى الحل الوحيد الذي يقوم به الرجال، هو لا يملك الجرأة عليه، لا يمكنه قتلها ، دفنها، نفيها ،غمامات الظلام تغزو عقله بمزيج من الغضب والقهر والحزن والكبرياء والحنين الغامر للأيام الأولى ، التمنى أن تلك اللحظة لم تمر أبداً ، التمني أنه مجرد حلم ، يسير في سرداب مظلم ما بين الإنكار بأن هذا يحدث والغضب لأن هذا يحدث....

يجلس في ظلمة الليل الذى انعقد سواده كله داخله ،يفكر في نفسه، إن كل هذه المواصفات التي اختارها لها كانت كفيلة أن تملأ فراغ حياته ، ولا يملها أبدا ، لكن مر شهر العسل وبعده مرت الأيام تجر بعضها ، الجمال الباهر تعود عليه والحلال أصبح واجباً بلا إحساس ، وحياته أصبحت تشبه الطعام المسلوق مفيد وصحي لكنه غير شهي ، ست البيت طعمها عذب ، لكنه خالي تماماً من الملح ، هذا الملح الذي يحرك الشهوة والاشتياق ، ليس لديها هذه المؤهلات التى تعود عليها في طيشه وشبابه ، لا تعرف كيف تغرى وتتمايل وتذهب بالعقل بلا عودة،

لماذا لا يعلمون الفتيات هذه الأشياء قبل الزواج ، إن طريقه طويل وعسر ليصل بها الي هذا المستوى الذى يحتاجه ، كما أنه يخشى عليها من محاولة الوصول لهذا المستوى الشبق، لا، لن يفعل ذلك أبدا ، لا يجب بذل المزيد من الجهد...
ولكن بالمقابل شعر أن بيته سجن بقضبان يقيد شبابه وحريته وانطلاقه، وداخله حنين لهذه النوعية من المغامرات ، طيش الشباب واللامبالاة بأنه رب أسرة ، لأن يخطأ ولا يبالي ،
حنين العزوبية يجرفه ، ووجد في بكاء طفله الصغير الرضيع المتواصل حجة لضميره بأن يرحل عن بيته لأنه يحتاج الي الهدوء والراحة ، وكان قلبه يدق دقات الانتصار وهو متنصل من هذه الحياة بحججه الواهية التى لم يعترض عليها أحد، بل سهلها له كل المجتمع من حوله ، كانت كل الظروف مهيأة له للتنصل، ليس واجب عليه التورط في هذه الأعباء،ليس هذا دور الرجال، تركها لها، هي وظيفتها بالتأكيد، يتذكر نظراتها، لم تشفع لها فقد تعلم فن التجاهل، هي الأم وهي المسؤولة وهذا مصيرمحتوم لكل فتاة تريد أن تتزوج وتنجب، أما الرجل ، فهو حر، ليس مضطراً للبقاء معها في هذا السجن، ثم توالت المواقف ولم يعد يري بها زوجة أو فتاة رغبها يوماً ، هي أم ، حتى هو لقبها بماما، يناديها ماما وحذف كل الأسماء التى قد كانت من قاموسه، ليس بيده شيء يقدمه لها ولطفله إلا تأمين المصروف والأكل والمسكن بقدر المستطاع، وقد فعل، قام بواجبه، أعطاها كل ما تحتاج وذهب إلى حريته، فقد كفي ووفى.
كل ليلة يعود في الواحدة أو الثانية أو الثالثة كما يشاء، يتسلل كي لا تعلم موعد عودته ، يهرب منها ، يأتى متأخرا يكون قد غلبها النوم ، يتجاهل إذا أعدت نفسها وانتظرته ، يتجاهل العشاء اللذيذ الذى تعده كي يعود ويرضي ، يتجاهل كل محاولاتها ،وهو يعلم ويضمن وجودها، لكنه لم يظن أنه يسحب من رصيد مفتوح وقد ينفذ .
لم يعلم عنهم الكثير ولم يحاول السؤال، صم أذنه عن حديثها عندما أرادت الفضفضة والشكوى ، مجرد زن ووجع رأس ربة منزل نكدية ، وفشلت كل محاولاتها الساذجة في اجتذابه للبقاء معها، لن يتنازل عن حريته بعد أن فض قيوده و أصبح رفيقا للفوضى التى بداخله دون تحمل لمسؤوليات يمكن لغيره أن يتحملها .
حتي جاء هذا اليوم الأسود الذى وجد هذه الرسائل بين أوراقها...
تكتب لحبيبها الأول ، الذى لم يعلم عنه يوماً ، رسالة مليئة بالعبارات الدامعة الدامية الحارقة حول حياتها وحالها وهمومها ، حول وحدتها وحزنها وحنينها ، حول وحشتها وضيقها .

قرأرسالة وراء رسالة جميعهم بلا اسم بلا عنوان،وجد كم كبير من الرسائل، تكتب له كل ليلة ، كل ليلة تسهر تصب له شوقها ، وهو غائب ، يجلس يلعب بأوراقه كونكان ، وهى تعبث في أوراقها لأجل هذا الحقير،
اشتعلت النار في رأسه ، زوجته تحب ...
ولا يدرى من هو هذا الساكن خيالها، كيف لم يشعر بوجوده، لقد سأل عنها طوب الأرض قبل زواجهم ، ولا يدرى إن كانت تنوى أن ترسل هذه الخطابات يوماً أو تحتفظ بها علي أمل

اللقاء، لم تكن اختياراته كثيرة إما أن يواجهها فيكون عليه أن يطلقها، أو أن يتجاهل كل هذا ويضم عاره إلى صدره ويحاول عدم خسارة عائلته وشكله أمام الناس.
هل يطلقها ، كم سيفتقدها لكنه أفضل من فقدان رجولته أمام نفسه، لا يقوى علي تخيل رحيلها، لكن هذا سيحفظ رجولته .
لم يتحرك من مكانه وظل جالسا يبكى وقد طوى الرسائل كلها ومازال يفكر، تركها بنفس وضعيتها في مكانها كأنه لم يراها يوما كاتماً الأمر في نفسه إلى أن يعلم ماذا يفعل.

خيانة زوجة مثالية

تقف في مطبخها ، تعد الطعام سريعا قبل أن يأتي الأولاد من المدرسة، تؤدي معهم الواجبات سريعاً وتنزل بهم تمارينهم سريعا ، كل شي يجب أن تؤديه سريعا لتعود لتأديته في اليوم التالي سريعا ، ثم في نهاية اليوم تكون نائمة تشبه الفسيخة، لا تشعر بجسدها ولا تشعر بالوقت ولا المكان، تعلم أن زوجها يبذل جهدا في عمله ولا تريد توريطه في مزيد من الأعباء والمسؤوليات لا تحب اجهاده وتتمنى راحته، رغم بروده وجفاءه معها في الفترة الأخيرة لكنها تعلم أنها طبيعته لا يقتنع بالرومانسية والحب ويعتبرها كلام فارغ ، وهى تحاول اثبات حبها له بطريقته العملية فتقوم بكل الأعباء ليحظى هو ببعض الراحة، لعله يشعر بها .

رغم أنها أحيانا كثيرة تكون متعبة مجهدة جداً تود أخذ قسطا طويلا جدا من الراحة ، لكنها أصرت أن تضحي بنوم الليلة لتنتظر زوجها ، راحة قلبها قد غلبت راحة جسدها، قد مر وقت طويل لم يمضيا بعض الوقت سوياً ، لم يعد يتحدث كثيراً ، تتمنى فقط أن تطمئن أنه علي ما يرام .

أنهت أعمالها بالمطبخ ثم أنهت باقي أعباء يومها اللامنتهية، وضعت أبناءها في الفراش، و ذهبت تتزين وتنتظر زوجها، دخل من الباب متأخرا رافضا الأكل ، لا يريد الأكل علي غير العادة .

هى :ما أخبارك...

هو:ماذا..

ابتسمت له وأكملت بمرح....

هى : احكِ لي عن يومك، لماذا لا تأكل .

هو :كفاك فضول.

شعرت بغصة في حلقها ، لم هو بكل هذا الجفاء ، قالت محاولة الضحك لاخفاء الألم ، الذى شعرت به في هذه اللحظة:

هى : فضول ...أريد فقط التحدث معك .

بمنتهى البرود نظر إليها ثم خلد إلى فراشه كأنه لا يراها ونام ولم يجيبها،

"لعله فقط مجهد "

قالت هذا لنفسها وهي تعتقد أنها اختارت الحديث الخاطىء أو أن كلماتها أوحت عكس ما تقصد، لعله خطأها ، يجب أن تعلم كيف تفتح معه حديثاً يحبه ولا تظهر كفضولية شريرة، لا تريد أن تعصف الظنون بها، أو تتهمه بعدم حبها ،الذى أصبح شبه يقين أمامها .

جلست علي طرف الفراش مشتاقة تنظر إليه ، تتمنى لو تحدث إليها قليلاً، متوجعة أن حياتها أصبحت روتينية عقيمة مؤلمة ، يكرر زوجها تجاهله وهى مجهدة بنفس الأعباء، توقفت عن الكلام معه و اللوم والعتاب ، ما الفائدة من تضييع جهدها علي مالا يفيد .

هو لن يتغير..

وهى تحاول أن تتجاوز وتعيش، لكنها تفتقده ، ليس لها زوج سواه ،حتي أتى ذلك اليوم المنحوس ، اكتشفت أن زوجها يحب، بل كان دائما يحب ، لكنه لم يستطع الزواج من حبيبته ، التي رفضتها أمه ، وهو لم يستطع أن يتجاوز حبه لها .
راقبته ....واختلست النظر في جواله....
وجدت رجل آخر لا تعلمه ولم تراه من قبل، يتحدث بلباقة وبانطلاق ، يحب الكلام مع غيرها، بينهم أحاديث طويلة لا تنتهي أبدا، طوال اليوم، كلام رومانسي جميل منمق من هذا الزوج الذى ظنته طويلا لا يعرف كيف يتحدث، زوجها يطلق النكات ويضحك .
زوجها يغازل ،
زوجها لديه القدرة علي الاستماع ، لديه عواطف يروى بها غيرها، حين بخل عليها بقطرة ندى في صحرائها ، تركها وحدها هناك تعانى وهو يمرح، كانت تتحمل المزيد والمزيد ، ليجد الوقت ويستمتع بوقته مع غيرها .
ما ذنبها أن تكون ضحية بينهم في هذه المهزلة، أن تعلق في عالمهم، ماذنبها لتحرم من الحب وما خطأها فعلا ، ولم تزوجها إذن ، كان عليه أن يحب عشيقته لباقي حياته بعيداً عنها ، كيف واتته الجرأة لإقحامها شريك ثالث في قصة لا تخصها، تقرأ رسائله إليها وتحترق من الداخل "زوجتي ليست أنثى ، أشعر أنى متزوج رجل"
"زوجتي نكدية"
"لا أستطيع لمسها ...أشعر أنى أخون حبنا"
وفي داخلها صوت يتحدث
" حولتنى رجلاً ، أنت قتلت الأنثى داخلي بجهلك وغباءك وتجاهلك ، لماذا لا تحكي لها عن الأعباء الكثيرة التي أحملها بدلا عنك، لماذا لم تحكي لها ما أبذله من أجلك أنت وأطفالك كل يوم، لماذا تجاهلت الحديث عن الحب الذى مات بداخلي من طول إهمالك"
قامت تصلي وتبكى ، ثم تصلي و تبكى وتشكو الي الله، تبكى وتدعو أن يطيب الله جرحها ويثقل نفسها ويجبر خاطرها ،
و هى تردد في نفسها:
(لا نستطيع أن ننجو من الصدمة والحزن بسهولة، بداية من الإنكار أن ما حدث سيؤرق حياتنا أو يهمنا أو يعنينا، مروراً بالغضب ومحاولة أن نساوم أنفسنا كي نقبل ما لا لم نتوقع قبوله، محاولة العودة لنجد كل أبواب العودة مغلقة ، انتهى العمر ونحن سكارى ، ثم تبدأ نوبة "الحزن الشديد" ، وإدراك أننا هنا في هذا العالم وحدنا ثم بالنهاية مرحلة الاعتياد ، وهي المرحلة التي نقتنع أن نعتاد الحياة بلا احتضان، مرحلة نحاول الخروج منها لاكتشاف نقاط قوانا وتعويض ما فاتنا و البحث عن جديد نلهي به وجودنا ، وقد يضنينا البحث زيادة ويشقينا ضعفنا أو نكتشف أننا أصبحنا أقوى مما كنا، ولن ندرى أبدا أين نصل قبل أن نصل إليه)
مراحل الحزن الطويلة ، من أهم أسباب النضوج للقلب والعقل والروح، نقطة تحولنا للأبد، إما للأقوى أو للاشياء.
في النهاية،،

إتخذت قرارها، هو يريد أن يتزوج الأخرى ، وهى ليست مهيأة للانفصال ولا يمكنها العيش وحدها.
قررت أن تدبر أمورها أولاً....
تهتم بنفسها وحياتها وتتنازل له عن بعض المسؤوليات، لم تعد تذاكر للأولاد ، جاءت بالمدرسين من ماله، أصبح للأولاد سيارة أجرة تذهب بهم وتعود من التمارين من ماله، ونزلت تدرس كورسات كومبيوتر ولغات تؤهلها للعمل من ماله، لم تعد تضحي من أجله وكفت عن التنازل، لم يكن مشوارها سهلاً، لكنها تحملت بعض الوقت حتي تنال حريتها وهى قادرة علي الوقوف من دونه مادياً كما كانت دائما تقف من دونه في باقي الأمور ، مشكلتها الوحيدة أن تستقل عنه ماديا لتقطع الحبل الوحيد الذى يربطها به .
في أثناء مشوارها الطويل هذا تزوج زوجها ، وهى صامتة صابرة كأنها لا تعلم، حزنت حزن كبير واهتز كيانها كله....
لكنها صبرت...
و أصرت علي الاعتماد علي نفسها أكثر حتى يمكنها الرحيل وكلما زادت قدرتها علي الاعتماد علي ذاتها والرحيل كلما لاحظت ازدياد المشاكل بين زوجها و زوجته الجديدة، كانت تشعر وتعلم ....وتصمت ...وتحتسب .
لكن يبدو أن الحب الكبير بينهما كان مجرد وهم وبدأ يذبل وينكمش ،وسنوات الحرمان وجدت صدى فارغ لا حقيقة له بين زوجها وامرأته الجديدة
هذا الحب الذى كان حي لا يموت، كان وهم لم يصل لامتحان إثبات صموده و الامتحان الحقيقي الذى تفشل أمامه مثل هذه العواطف هو الاحتكاك بالواقع والمسؤوليات والمشاكل وهو كفيل بسحق أي عاطفة ، والسبب الوحيد الذي جعل مشاعرهم مشتعلة أنهم يغذونها بالخيال الدائم، لكن لم يستطيعا إثبات قوة المشاعر تحت طائلة الضغوط....
وكم كان صعباً عليها التظاهر أن الأمور علي ما يرام، أمامه وأمام العالم كله، لكن كانت تبلغ هدفها وغايتها، وأصبحت كلما تحسنت أحوالها تسوء أحواله ويزداد سوءًا، تراه وتتجاهل ولا تسأل ولا تبالى، ثم حدث ما لم تكن تتوقعه، يحضر الهدايا ويعود مبكرا للبيت ولا تبالي، يحاول الاقتراب منها ولمسها ولا تبالي، يحاول الحديث معها ولا تبالي.
عندما أتاها كانت قد زهدت هي فيه ولا تبالي، ولا تود الاقتراب منه ثانياً ، لعله أدرك أن أمه كانت علي حق، لعل عينه تفتحت فلاحظ الفرق بينهما ، أولعلها فقط أعراض تأنيب الضمير وهى لن تتعاطف معه، ليذهب إلى الأخرى ، هي لم تعد تحتاج إليه .
في النهاية ، حصلت علي عمل وجهزت نفسها للانتقال إلى بيت أهلها، وقد قررت أنها النهاية...
هذا هو اليوم الذى ستتخذ به موقفها، رتبت أغراضها وجهزت أمتعتها وذهبت بأولا دها إلى جدتهم ، وانتظرته وحيدة حتي لا يرى أطفالها هذا المشهد ويترسخ فى أذهانهم ولا تستطيع علاجه ،عاد للمنزل يظهر عليه البؤس والعبوس والإعياء والحزن والخيبة، كتلة من الهم تقف أمامها، لم تسأل لم تعد تهتم بما يعانيه ،هى لا تبالى .
فقط طلبت الطلاق بمنتهي الاختصار.....

قالت كلمة واحدة فور أن رأت وجهه :(طلقني)...
بدا مذهولاً، وازداد ذهوله بعد أن عرف أنها كانت تعلم طوال الوقت ، وتتدعي الجهل وتستغله إلى أقصى درجة ، صرخ بها:
هو :(أنت تخدعينني)
ردت بمنتهي الثبات:
هى :(بل فعلتها أنت والبادى أظلم)
رد عليها والهم يملأ صوته محاولا الاقتراب منها:
هو:(لكنى طلقتها اليوم)
هل ما تراه في عينيه ندم، أو هو شيء من حنين لها ، لم ترى هذه النظرة من قبل لتعلم ما هى ، لم تعرفه يوما أو تعرف عنه ولم يعد مهم أن تعرف أو تفهم ، يحاول الاقتراب واحتضانها، صدته بحزم قائلة بثبات:
(لكنى راحلة اليوم)
ذهبت مسرعة بعد أن عرضت طلبها، لا تريد المزيد من الحديث معه، فقط تنتظر إجابة طلبها عند أقرب فرصة،
أغلقت الباب خلفها مغلقة معه هذا الجزء من حياتها للأبد.

...

فخ التحرر

استهوته الحياة الأوروبية، فخلف القيود الشرقية وراءه ورحل، هرب من شرقيته ،عاش شباب غني بالمغامرة وتعرف علي ملذات الحياة في هذه البلاد الغربية، عاش الحرية وعاش التحرر، لم يشعر يوماً أنه انفلات، بل هو انفتاح ، للقلب والروح والوجدان، عرف كثير من البنات وله كثير من العلاقات، الاهل يستقبلونه ويرحبون به في بيوتهم وقد أعجبه هذا .

قمة التحضر ألا يحجروا علي رأى أبناءهم، خاصة بناتهم، اقتنع بهذا النوع من الحياة واعتنقه عن قناعة ، بل اعتبر شرقيته وصمة عارعلي جبينه وعلامة للتخلف لا أكثر فكان دائماً يحاول ألا يظهرها أو يعرف بها المحيطين، عاش متنكراً متخفياً وناكراً عنه هذا التخلف الشرقي، مستتراً وراء تعدد الجنسيات، مستتراً وراء الحرية .

علاقته بالدين كانت مجرد اسم في البطاقة لم يهتم كثيراً بهذه الطقوس الدينية التى اعتبرها عقيمة وغريبة ، كذلك لم ييجبرأبناءه أو يحاول تعريفهم أو مد أصولهم إلى جذورهم العربية الإسلامية الشرقية، هو لا يهتم كثيرا .

لم تكن تلك مشكلة حتى هذه اللحظة التي تورط بها في ورطة لم يحسب حسابها أبدا، مشكلته أصبحت خارج قدراته علي حلها ،

ابنته تُحب....

لم لم يفكر يوماً أنها ستحب ،لم يعتقد انها ستخرج من اطار فتاته الصغيرة لتصبح فتاة مكتملة الأنوثة يوماً، عند هذه النقطة استيقظ داخله الشرقي الراقد النائم التغافل، هم واقفاً رافعاً شعار شرقيته ، ماذا يفعل الآن، إنه عاجز تماماً قالت له هذا الصباح :داد، متي أصبحت رجعى هكذا .

فرد بتلقائية : منذ أصبحت ابنتى في الرابعة عشرة وتريد أن تتخذ بوى فريند ، أنت لازلت طفلة .

هى :اذا لم أتخذ صديق، سأكون غريبة الأطوار ، سيعتبرونى انعزالية وغير إجتماعية ، هل تحب أن يقولوا عني مثلية ....؟؟؟؟

وقف أمامها عاجزاً، هي تعكس المنطق الوحيد الذي تعرفه، لكن رد داخله الشرقي الراقد قائلا :وهل هذا معناه أنه يجب أن تخلعى لباس الحياء والأدب ، أنت عربية ، لست سواء مثلهم لتصنعي ما يصنعوه من الفاحشة .

ردت صارخة في وجهه بأعلي صوت:

هى: داد، أنت فعلت هذا أيضا، هل أنا عربية وأنت لست عربي.

ثم رحلت رغم أنفه وذهبت مع صديقها، ركبت السيارة وانطلقت معه وهو يقف في شرفته لا يهدأ ولا ينام ولا يرتاح، لا يكف عن الحركة ذهاباً وإياباً،

داخله بركان لا يهدأ وهو ينتظر عودتها، لعلها تكون بخير صغيرته البريئة، طفلته .

بعد أن علم بعلاقتها لم يشأ أن يعاملها بقسوة ، حاول أن يتفهم، وحاول أن يتنكر في عبائة التحرر والحرية الاوروبية، ولكنه لم يستطع أن يتوافق مع معايير هذا المجتمع الذي أصبح فجأة غريباً عنه، بل كان دائما غريبا عنه، كان يقف علي الحد، لا استطاع أن يكون أوروبياً بالكامل، ولا أراد الاحتفاظ بشرقيته الصميمة....

يقف يحملق إلى أقصى حدود الشارع ينتظر عودتها وتطارده الأفكار، كيف تركها ترحل معه في سيارته، إلي أى حد ستنتهي هذه العلاقة ، ماذا يمكن أن يحدث في هذه الخلوة، ولو أنه خروجاً بريئاً فقط فلا شك أنه قبلها يوماً أو لمسها، إنه أقل ما يحدث بين المتحابين، لا يطمئن إلى نواياه وأخلاقه، لا يطمئن الي بواطنه ودواخله، لا يطمئن إلى هذا الصعلوك الأوروبي الفاسد يريد أن يبرحه ضرباً، ويحبسها ويقيدها بالمنزل.

هو من كان طوال شبابه ينادي بالتحرر ويؤيد الاختلاط ، ولا يرى أنه استغلال ، يؤيد أن لا ضحايا بالعلاقات، ولا استغلال في الحب، فالمرأة تتحمل مسؤولية قرارها، هى طرف مثلها مثل الرجل تماما ، لماذا لم يعد يقنعه ذلك بعد أن أصبح أب، أب لفتاة بريئة سيغرر بها كاذب وتصدقه ، لماذا لايري ابنته مثل باقي النساء، يراها مجرد طفلة.

عادت الأفكار تنهش عقله وتفرد شباكها وهو ينتظرها ويطيل انتظارها بالشرفة، أفكاره تهمس في أذنيه:

"سأحمي ابنتي، سأجبرها علي قطع صلتها بهذا الشاب، حتى ولو بالقوة

تمر ساعة وبعدها ساعات ، وهو في نفس مكانه لا يكف عن الذهاب والإياب، ثم أخيراً، بعد أن نفذ صبره،

من بعيد اقترب ضوء كشافات السيارة قادمة مقتربة، حانت لحظة الانتقام التي ينتظرها من هذا الأفاق المحتال، اللحظة الحاسمة ، قال في نفسه (سأربيهما معا) .

كان ينظر باتجاههم عندما قبلت ابنته صديقها قبلة الوداع، ورحل سريعاً دون كلمة وداع للرجل الواقف في انتظاره أو يلتفت له حتى ، وهو ينظر إليهم بكل عجز قال لها:

الأب : لقد تأخرت كثيرا عن موعد عودتك.

هى....

دخلت للمنزل وكأنه ظل أمامها لا تراه ولا تشعر بوجوده.

تركته واقف يعلم أن إحكام الرقابة مستحيل ،

تركته واقف غارق في حساب نفسه ،

نادم علي ما اقترفه في حياته ،

تركته يتساءل ويعيد في داخل نفسه الحكم علي أفكاره القديمة ويتساءل في اعماقه حول تلك الفروق بين ..."الحرية والتحرر والانفتاح والانفلات ''

دليل الكفاية

تجاوز الأربعين من عمره ولكنه لم يتجاوز طيش الشباب وحبه للمغامرة، متعلق كالطفل بالإحساسات الأولى التي تخلقها مغامرة الحب الجديدة ، والبدايات وروعتها .
هذا جعله مدمناً لمغامرات الإنترنت والعلاقات السطحية، يستمتع بالحوارات والكلام الجميل عن الحب وحكاياته ولا مانع من بعض التعمق الذى يكون نهايته المتع المحرمة ثم يقطع العلاقة ويرحل دون عودة ، يمل ويرحل لبداية أخرى علي أرض جديدة ، كان هذا هو حاله إلى أن وجدها، تعرف كيف تحدثه، لذيذة خفيفة مرحة مثقفة، تعرف مفاتيحه ، لا تنتهي بينهما الأحاديث ولا يمل منها ، تعلم كيف تقربه كيف تشوقه ومتى ترويه ، ومتى تبعد قليلاً ومتى تقترب من بعيد ، كانت له هدية السماء ، أخيرا وجد هذه التى أغنته عن باقي علاقاته يفتح عينيه في الصباح ليكون الجوال هو أول ما يصادف عينيه....
هو :صباح الفل....
هى :صباحك سكر....
ترد صباحاً في نفس اللحظة وكأنها تجلس في انتظار رسالته ، تخبره أن يومها لا يشرق دون هذه الرسالة ، يضيق كثيرا بغيابها بالساعات بعد ذلك، يعلم أن لديها بيت وأولاد يشغلوها عنه ، يغار منهم جميعا، يحبها، نعم أحبها وهاهو عكر المزاج في غيابها ، في المساء ينزوى الي حجرته بعيدا ، مستغلا انشغال العائلة في مشاهدة أحد المسلسلات ويكتب لها.
هو : ....وحشتينى....
هى :هههههههههههههههههه .
شعر بأنها تضحك بمنتهي النعومة والأنوثة رغم حائل الشاشة بينهم .
هو :تدووووووووم
هى: دخلاتك قوية .
تصف له نفسها ، جسدها ، كل جزء منها تصفه ، حتى ثار الخيال منه إلى أعلي قممه ، كعروسة البحر، كروايات ألف ليلة وليلة ، هى شهرزاد التى تأثر أميرها كل يوم بمغامرة جديدة ليزداد بها تعلقاً .
علمته الكثير عن عالم النساء ، متزوجة خبيرة ، لكنها لم تستطع يوماً أن تحدثه تلفونياً لأن زوجها الذى تلقبه (المغفل) موجود جوارها بالمنزل.
هو :كيف تكتبين وزوجك بالمنزل .
هى :مثلك تماما، وهل تعلم ما تفعله الهانم .
كان يتعجب أن تفعل كل هذا وزوجها معه، لكنها علمته أن كيد النساء عظيم ويمكنها فعل كل شيء ومازال يظهر عليها كل البراءة .
هو :أنا أثق بزوجتي .
هى : هههههه.....كذلك المغفل .

ثم تكمل بكل ثقة : أنت لا تفهم، يتخيل الجميع أنه يعيش حياة مختلفة عن حقيقة الأمر، للأسف جميعنا مخادع، وعندما يفعل الرجل ما يريد عليه أن يفهم أن زوجته أيضا تستطيع فعل ما تريد، كما لك شباب لن يعوض هي أيضا تحب استثمار شبابها والاستمتاع، كما حياتي معك.
دائماً تردد هذا الكلام الذى يقرع داخله طبول الشك ، لكنه يتجاهل ما يعكره ، فليست كل النساء بهذه الأفكار ولا هذه الجرأة ، كان يتمنى أن تعشقه كما عشقها لكنها كانت واضحة .
هى :أنا لا أحب أحد ، هذا الذى بيننا نوع من المغامرة ليس أكثر .
تشبهه تماماً هو أيضا يحب زوجته المخلصة الطيبة الودودة لكنه لا يستطيع التخلص من هذا الإدمان للعلاقات ، من هذه المتعة .
لكنه لا يعترف بذلك ، غالباً يقدم نفسه للنساء (متزوج ولكن .....تعيس ، متعب، يائس ، فاشل) لم يستطع أن يقدم نفسه ببساطة (متزوج لكن قذر) كان هذا مستحيل بالتأكيد .
لطالما حدثته عشيقته أن لكل النساء هذا الجانب الأسود فلا تخدعك المظاهر ، لكنه نفي هذا (كل النساء إلا زوجتى)، لا تمل من تكرار هذا الأمر عليه كأنها تتعمد إرهاقه واللعب بأعصابه ، لكنه متأكد(إن فعلتها كل النساء فزوجتى لا) .
ثم ليثبت لنفسه هذا أخذ يراقب زوجته بتمعن شديد، أين تذهب ، من أين تأتى لكن اكتشف أنه لا يعرف عنها الكثير ولا عن تفاصيل يومها مع طلبات المنزل والأطفال، فاكتشف أن إحكام الرقابة مستحيل كما شرحت له عشيقته ، هو غائب نصف الوقت ونصفه الآخر في غيبوبة مع مغامراته ، واثق بها ولكن لا يمكنه قتل الشك الذى تزرعه تلك اللعينه ، وشقت الظنون طريقها إليه ، يصر أن يثبت أن زوجته لن تفعل هذا .
يجعلها مشغولة يخطف هاتفها يحاول فتحه فلا يستطيع، لماذا تضع علي هاتفها كلمة مرور، قتله التساؤل الذي بلا تردد نقله إليها:
هو :حبيبتي ....لماذا وضعتي كلمة مرور علي تلفونك...
زوجته :الأولاد لا يتركونه أبداً، أخاف عليه ففعلت مثلك، ذلك أضمن لأحافظ على هاتفي .
هو: افتحيه من أجلي، أريد رقم طبيب الأسنان، لا أجده على جوالي.
هي: حسنا ، أعطني هاتفي، سأرسله إليك واتس.
رن صوت داخل عقله يقول (واتس ؟؟؟ متى أصبح لديها هذه التقنيات الحديثة، مصيبة أن يكون لديها فيس بوك ولا أدري)
ها هو الشك يفترسه بكل ضراوة ، يعرف ولا يصدق ، يشك ولا متأكد، واثق بلا يقين ، قالتها بلسانها ...(فعلت مثلك).....ماذا يا تُرى فعلت مثله.
لم يعد يتحمل ، لابد أن يتأكد ، ظل جوارها أسبوع كامل كظلها لا يتركها، ونسي عشيقته ونسي مغامراته ونسي ملذاته وهدفه واحد أن يطمئن قلبه، حتي وجد غايته ، وعرف كلمة المرور إلى جوالها، و ما أن دخلت لتستحم، حتي أخذ هاتفها ....فتحه ....قرأ رسائلها...
ثم...
أصابه الجنون...
أصابه الهلع.....

دارت الدنيا به وعجزت قدميه عن حمله وكاد يبكى، نعم كاد يبكى من الخزى والعار والشعور الذى انتابه بعد أن قرأ رسائلها ، لأنه وجد مالم يستطع خياله أن يصوره له ،انتابه شعور غريب لم يعلم عنه من قبل ، الندم ، هل هذا هو طعم الندم ، لم يتخيل أن يتذوقه يوماً ، له طعم يقع في الحلق ويثبت ولا يتحرك ليعطى شلال مرارة مستمرة لا ينقطع ، ترك جوالها، وذهب يفتح هاتفه وكتب آخر رسالة لتلك العشيقة .

(عزيزتى.....

انتهى الأمر، أنا أحب زوجتي وأشعر بالندم علي ما حدث مني في حقها يجب أن ينتهي الالأمرأن أعوضها عن كل ما بدر منى في غفلتي عنها، الوداع، أرجو عدم المراسلة مرة أخرى، انتهى الأمر ...انتهي للأبد)

أنهت زوجته حمامها وما أن خرجت حتى جاءه الرد:

(زوجى العزيز.....

لم تكن تلك مغامرة أو طيش شباب ، كان دليل كفايتك ، فقط أردت أن أثبت لك أكثر من شيء ....

أولاً ....أنت لا تحتاج لأكثر من امرأة لتكتفي، إذ أن الاكتفاء يأتى من الداخل وليس الخارج ، وها أنا نفس المرأة أكفيك مرتين .

ثانياً ...لن تفهمك كل النساء مهما حاولت مثلما تفهمك زوجتك ، فها أنت بنفسك تعترف أن لا غيري فهمك وكلمك وأثقل احساسك مثلي، لا أحد غيري أعطاك هذه المغامرة .

ثالثاً ...لتعلم كم هى الخيانة سهلة والخداع له ألف وجه .

رابعاً ....أحببت أن أثبت لك مدى غباءك .

انتهى الأمر وأنا لا أثق بأن تنتهى مغامراتك ولا أصدق بأن تتوب، لعل الرحيل هو الحل، كانت هذه فقط حفلة الوداع الأخيرة، أو حفل تأبين، انتهى الأمر، للأبد)

لماذا السيناريو يتكرر

كانت الحياة بيننا بلا حب جحيماً ، جحيم لا يطاق، كانت شاقة علي كلينا وانتهت الحياة بيننا بالفشل ثم الطلاق ، تزوج هو في الحال بحبيبته الأولى التى رفضها أهله ورشحونى بدلا عنها بدأ حياته من حيث انتهت حياتى، أصبحت مطلقة ، كنت أعتقد أنها نهاية المشاكل ، لكنها كانت البداية لنوع آخر من الهم.

اكتشفت نظرة جديدة ينظر بها المجتمع إليَّ لم أكن أتوقعها، أصبحت موضع طمع من كل الرجال حولي، رجال لم أتوقع منهم ذلك، لم أكن أعلم أن الكون بهذه القذارة وأنا بنت في بيت أبي ، لكني مطلقة ولن تطالب المطلقة بحقها في الزواج مثل الفتاة، لأنها ببساطة مطلقة ، وهذا يجعلها كائن مباح للخطيئة.

انهار عالمى البريء، النظام الاجتماعى الذى كنت أراه أصبح وهم، إنهارت أسس الأصول ، هناك من يتخفي خلف مظهر إنسان يفقد إنسانيته ويستسلم للذات الجسد العابرة ، يفقد إنسانيته وينقلب وينطلق مع غرائزه بلا ضابط للوصول للذة اللحظة ، يرتبون الكلمات وينمقون الأفكار من أجل أن تتحول علاقة الحب ، إلى علاقة جسدية ثم إلى فوضي، رأيت التخلي عن الإنسانية بكل معانيها، فلا شيء يغذي إنسانيتنا أكثر من السمو عن الرغبات، وضبط الشهوات .

نوع من البشر الذى لا يثير حبه إلا زوجات الآخرين والمطلقات منهم، إنسان داخله كثير من اعتبارات النقص ولا يشعر بقوته إلا إذا دخل مبارزة مع رجل غيره، يعجز عن رؤية رجولته إلا من خلال امرأة مر بها رجل آخر ليشعر بتميزه ، وتكون المرأة المسكينة هي الأداة لاكتمال هذه المبارزة

حب ينتهي فورته بعد الانتصار، النتيجة الرحيل والبقاء وحيدة مع خزيك وعارك، انتصار يترك خلفه الدمار للقاتل والمقتول، بالتأكيد يخلف للرجل أيضا إحساس وضيع بدونيته.

رأيت صورة جديدة لكائنات تدافع عن المرأة وحقوق المرأة وحرية المرأة طالما ليست زوجته ، أمه، أخته أو ابنته، لايهتم بحق المرأة في الحرية، بل في الأساس يهتم ويدلل نفسه بحريتها التى يراها الطريق لحلمه هو، يدافع عن ما تراه حقها ليصل لما ليس حقه، عن حقه في الوصول إليها .

كان السيناريو يتكرر ويتكرر بنفس المشاهد حتي حفظته وتوقعته كله قبل حدوثه، في البداية يتقربون تحت مظلة التعاطف، ثم يعيبون علي هذا الزوج الأعمى غباءه وقلة تقديره، ثم يمدحون ويمدحون في مميزاتى، كأنهم يقرأون من نفس الورقة هى هى نفس الأقاويل والجمل التى خرجت منهم جميعا، ثم يدعون الحب، وفي النهاية يظهر هدفهم الأسمى، وهو دائماً ليس

الزواج، فقط ليلة رخيصة في المضمون بعيداً عن العيون وبلا مسؤوليات بعدها ولا مشاكل، فلا أحد يود الزواج من المطلقة وقد يصل إليها دون زواج.
كانت حقبة سوداء من حياتى، حقبة التخبط والتلخبط وتعرى الحقائق، حقبة التوهان التى أوجعتني أكثر مما أنا موجوعة ، كنت أغبى وأبرء من أن أفهم هذا دون تجربته .
إلى ذلك اليوم، الذي عاد فيه جارنا من غربته، كانت تجمعنا قصة حب وإعجاب ووعود زواج قتلتها الحياة في المهد قبل نضوجها، عاد لي من جديد بعد أن علم عن قصة طلاقي ، عاد واكتسب ثقتي ، فرحت به وكدت أطير فرحا، كانت مشاكلى علي وشك الانتهاء وها هى الستارة ستسدل علي مشهد النهاية السعيد ، يتصل بي كل صباح:
هو: صباح الخير ..كيف حال عصفورتى .
ابتسم من وراء السماعة التى تفصلنا محاولة الظهور ببعض الوقار، ولكني أكاد أطير من فرط السعادة:
أنا:الحمد لله ، كيف حالك .
هو : افتقدك كثيراً ...في بعادك ينقصني كل شيء .
أشعر بصدق مشاعره وعذوبة إحساسه ، علي يقين أنه يحبنى حقا ، لكنه لم يتقدم خطوة ، ولا يتقدم للأمام ، ولم يعرض علي الزواج ، يتكلم عن حبه الذى لم يمت ومشاعره وذكريات الحب بيننا ولا يكف عن الوصال والاتصال والاهتمام ،. لكنه لا يتكلم عن الزواج ، يذكر حتي ذكريات الطفولة البعيدة ، لكنه لا يذكر ذكريات عرض الزواج القريبة .
قررت أن أفتح أنا الموضوع لم يعد من اللائق خروجنا وبقائنا معا دون أى ارتباط ، أخذت منه موعد في المكان الذي نجلس فيه أمام صفحة النيل كمراهقين، نتعلق بأيام الحب القديمة، وقررت أنها الفرصة السانحة لفتح الموضوع بصراحة ووضوح، قلت له بوضوح:
أنا : ماذا ترى لمستقبلنا معا....
هو : لا تفكرى في المستقبل، أو جعنا التفكير في مستقبلنا وأهلكتنا خطط كنا نرسمها للمستقبل، لم أعد أبالي ، استمتعي باللحظة، هل نترك لحظتنا الجميلة الناعمة ونزحف إلى الخوف من المستقبل مرة أخرى .
أشعر أن عقله ينكر أي فكرة عن احتمالات الارتباط ، هل يحبني و لكنه يتراجع ويبرر التراجع لنفسه ، يعلق عذره فى الخوف من المستقبل والألم مما خلفته فينا أشباح الماضى .
أنا : نحن لم نعد صغار يربكنا الخوف من المستقبل، وأنا لا أفهم ما تقصده بوضوح ، ماذا بعد هذه اللحظة التي لن تدوم ، سنصل للمستقبل في كل الأحوال.
هو : أنت كعادتك قلقة....
أمسك يدي يحتضنهم بين كفيه... ثم أكمل:
هو : لم أعد أحتمل الابتعاد عنك أكثر من هذا، الحياة قصيرة والدنيا قاسية وأنا منهك وأحتاج أن أرمى عنى ما ينهكنى وأهاجر إلى أحضانك ، أنا لاجيء الي أرضك فهل تقبلينى ، أنا أحبك وأغارعليك، أنا حتي أغار من الهواء الذى يمر ويأخذ منك أنفاسك ، يسلبني حقي في هذه الأنفاس .

دمعت عيناي من فرط التأثر ، وارتعشت يداى وانتفض قلبى واحمرت وجنتاى كطفلة، فرددت بفرحة:
هى :أنا أيضا لا أحتمل الابتعاد عنك .. نتزوج إذا .
كان هذا هو الرد الطبيعي لهذا الموقف، لكنه لم يجده طبيعى، بل انتفض واعتدل في جلسته وعاد بظهره للخلف قائلا:
هو : لا أفهم لم تسعين للزواج، ألم تجربي الأمر مرة ولم ينجح، لماذا نضيع أجمل ما فينا في تجربة خاسرة، في مطحنة الزواج .
رجعت للخلف بدوري وسحبت يدى من بين يده، رأيته فجأة ملوث، تماماً مثل الآخرين، لكنه زاد عليهم بتدنيس بياض قلبي وتلويث طهارة إحساسي ، هو مثلهم مجرد حقيرآخر مثلهم ، أسقط ضميره في لحظة ازدواج للمعايير في عقله ، لا يقبل ان يتزوج مطلقة، فقط يقبل أن يحب مطلقة، وأنا لن أقبل ذلك .
حتى حب حياتي أصبح مجرد رقم جديد في عدد الرجال الذين يرحبون بتبادل الغرام مع مطلقة دون مسؤولية الزواج .
لم تؤلمنى كلماته، أو تطلعاته ، قد اعتدتها ، ما آلمني حقاً ، أنها تخرج منه ، يجرح أكثر السهم الذى يضرب علي غفلة من مكان لم تتوقعه، رحلت وتركته بدون رد أو تعليق وبكل كبرياء كأنه ليس موجوداً أمامى .

قصة قصيرة

هي:
أنا مجرد زوجة أخرى لرجل
رجل في بداية الثلاثينات، تعرفت عليه بالعمل، ثابر علي مطاردتى حتى استسلمت، كان شغوفا عطوفا عاشقا ، فكان قريبا جدا من نفسي، ثم طلب منى الزواج، بعدها صارحنى أنه متزوج
ولأنى أحببته وتعلقت به، ولأن سنى لم يعد صغير وأخاف أن يفوتنى قطار الزواج ...."وافقت..."
في البداية كان يقضي كل الوقت معي، ونسي زوجته الأولي تماماً، فلم يشعرني وجودها بأى تهديد، يشعرني أنى الوحيدة في حياته، أنى هدية السماء له، أنى غرامه وعشقه وهواه، لكنى زوجة ثانية مهددة بفكرة الرحيل لذلك حاولت تثبيت جذورى في حياته، بإنجاب طفل ، لكنه تغير كثيراً ، لا أدرى لما لم يعد شغوف بي كما الماضي، أعتقد أنه أشتاق لها وعاوده الحنين لبيته الأول .
هو:
لم يمضِ شهرين على زواجنا حتى فاجأتني أنها حامل، وطلبت مني أن أبتعد عنها قليلا فهي واحمة.....
الرجل المغرق بالمسؤوليات مثلي والذى يري زوجته غارقة طوال الوقت بالمشاغل والمسؤوليات يبحث في الزوجة الثانية عن علاقة غرامية، ليست مجرد زواج، امرأة تتولي تدليله وتعويضه ، أنا لا أتزوج بحثا عن أبناء وبيت أتحمل مسؤوليته، بل أبحث عن واحة مريحة أستجم فيها وأرمى كل هموم الحياة ورائى، أفكر في زوجتى الثانية بأنها ليست مجرد زوجة بل عشيقة، لكنها بمجرد الزواج بدأت بالمطالبة بحقوقها كلها، حتى تلك المادية منها رغم راتبها الكبير من عملها ، كنت أعتقدها عوض عن كل متاعب الماضي، لكنى لم أعد أطيق كل هذه المسؤوليات، لم أعد أطيق بيتي الجديد وفكرة الزوجة الجديدة.
الزوجة:

وكأنه وحده من عانى وصبر، وكأنه أفنى شبابه في هذه الأعمال الشاقة في بيت لا تهدأ به طلبات الجميع "إلا أنا " ...إنه يبحث عن تعويض لمعاناته مع زوجته المشغولة دائما، ببيته وأطفاله.....!!!!!!!

لكنه لم يسألني يوما عن شعورى ومدى إحباطى من إنشغاله عنى، وهذه العشيقة الجديدة لم ترى عيوبه ، قد يتجمل ، وقد يتغير من أجلها ، لكنه في لحظة صدق ، ستسقط عنه كل الأقنعة، فتجده مجرد غبي سخيف كسول أنانى ، لا يتمتع بتلك الصفات التى تحلم بها فتاة بفارس أحلامها .

كم أتمنى الآن أن أتحرر منه فأجد فرصتي في رجل يعشقني ، يدللنى للحظة، ويعوضنى إنشغاله عنى بنفسه، يعوضني إفتقادى الحب في هذا البيت لسنوات عجاف ، في هذه اللحظة لا يمكننى أن أتمنى غير رجل يهز أركان فؤادى وأتذوق معه شغف المشاعر، ودفء الحنين ، ينعش مشاعرى ، ويهز أركانى ويعيد الحياة إلي روحى ...

يعوضنى عن حياتى معه، وهنيئا لزوجته الجديدة ...

هو وأطفاله...

الخاتم

وقف في منتصف المكان وقال غاضباً:
-هذه التمثيلية ساذجة جداً ...الحمد لله الذي خلصني منكم ، إن لم يظهر هذا الخاتم الذي ارتدى طاقية الخفاء ، أنا لن أتنازل عن حقي ، ولن أتنازل عن ثمنه.
احمر وجهي خجلاً وغضباً، كيف حدث هذا، أكتم دموعي و أود لو تنشق الأرض وتبتلعني ، أخذت أدعو داخلي (يالله ....انقذنى..) ، كيف حدث هذا وما هذا الموقف المخجل .
في البداية...
لم يكن الأمر مجرد صداقة بين فتاتين، بل صداقة بين عائلتين، نوع من الصداقة التى تجعل بين أفراد العائلة كلها وداً عميقاً أقوى من علاقة الدم وكان طبيعي جداً كوننا قريبتان في السن أن تكون لي كما الأخت، لم نكن نفترق وكانت كل مغامراتنا وحكايتنا سوياً ، كنا نتحمل بعضنا كما نتحامل علي بعض في أحيان أخرى مثل أي أختين و كانت كل الأمور في وجودها رائعة ، لحظاتنا كلها سعادة ، إلى أن تمت خطبتي، وكانت ماتزال لم تنل ما تعتبره الشرف الذي تتباهى به العائلات وتتبارز، إن اعتقدنا أن الحياة ترهقنا فهذا ضيق فهم، فالناس هى من ترهق بعضها البعض، المجتمع وأحكامه وتطلعاته هو من يرهق الفتيات بالتحديد وليس الحياة .
وبسبب هذه الأفكار البالية والعقد المتوارثة، ها هى تغيرت فجأة ،كنت أسمع دائماً عن كيد البنات وحقدهن في هذه الأمور لكنى لم أتوقع أن أكون أحد أطراف هذه المهزلة ، أو أن أعيشها بنفسي، ترهات وتفاهات البنات هذه لم أتوقعها منها أبدا.
ظننتها أخت لي...
لكنها تغيرت، بدأت تكذب علي ،تتقول عني الأحاديث السيئة والمريرة من ورائى ، ثم تحكي عن لسانى حكايات لم تحدث أبداً ، ولا أدرى أى شيطان ظهر لديها لتغار مني كل هذه الغيرة المرة ، لكن كنتيجة لذلك اضطررت للبعاد عنها ومحاولة مقاطعتها، والهروب منها بأى مبرر، اكتشفت أنها حقودة شريرة، آلمتنى وجرحتنى جرحاً عميقاً يصعب الشفاء منه، ليس أصعب

من أن أنتخسر شخص قريب منك، جزء من حياتك وعمرك، لكني ابتعدت عنها دون تقدير لأي اعتبارات أخرى .
ولكن هيهات ...إنها ليست علاقة بسيطة ،ما بين العائلتين أمور أعمق وأقوى وأكثر تعقيداً، كان دائماً هناك اعتبارات أخرى تجعل الابتعاد الكامل مستحيل، يوم أن أتانا خبر وفاة عمها ، كان لابد لنا كلنا أن نكون جوارهم، أبي كان جوار أبيها كأخ ثالث، رغم كونه مات منتحرا ورغم الهمسات التى تعالت بأنه كافر ولا عزاء له، رغم مقاطعة الكثيرين لم يتخلى أبي عن صديق عمره، وكيف يتخلي عنه، وكان له سنداً وعوناً علي مر السنين، وكان لي أبا حنونا ليس من دمى .
لم أنسي أبدا رؤيته لي بكل فخر يوم تخرجي وكنت أرى في وجهه نظرات سعادة وحب ومباركة، كأننى ابنته، بل كنت حقا ابنته، ثم في يوم خطبتي، ظل واقفا ضاحكا سعيدا مستبشرا يستقبل الضيوف والحاضرين، كان يقف كأب للعروسة وليس مجرد ضيف، لا أستطيع أن أنسى له كل هذه المواقف ولا أريد أن أخذله، يؤسفني أن أكون سببا في ألمه يوما، لكني أصررت على الإبتعاد عن ابنته.
في هذه الأثناء حدثت لي بعض المشاكل مع خطيبي وكانت الأمور مضطربة والوفاق يبتعد وفكرت جديا في الانفصال ،يومها جاءت إلي تزورنى....
سمعت صوتها في الخارج تحدث أمى:
-أين ملك....
-في حجرتها عزيزتى...
-سأدخل اليها....
كنت في غرفتي وها هى آتيه، أسرعت إلى فراشي وتلحفت غطائى وكأننى راقدة في نوم عميق دخلت الحجرة، وجدتنى نائمة .
أحسست أنها وقفت عدة لحظات بالغرفة قبل أن ترحل، وتغلق خلفها الباب ، توقعت أن تبقي في الخارج بعض الوقت لكنها مشت سريعاً علي غير العادة ، لعلها شكت أنى أدعى النوم ، لم أهتم .
لقد رحلت وارتحت من هم لقاءها، في مساء هذا اليوم كنت قد اتخذت القرار النهائى بأن هذا العريس لن يناسبني وحان وقت الانفصال، ذهبت إلى حجرتى لأحضر الخاتم ، فلم أجده ، وبحثت عنه في كل مكان فلم أجده ، جن جنونى واضطربت ولم أعرف كيف أتصرف ثم جاء أبي ليبحث معي :
-متى ارتديته آخر مرة.
قلت له :
-هذا الصباح
فعاد يتساءل :
-من دخل حجرتك اليوم.
صرخت..:
-انها هى ...الحقيرة الوقحة.

وظللت أبكي ، كانت مسرحية هزلية ساخرة ،هل وصل بها الحد إلي أن تسرقني، إلى هذا الحد كرهتني وحقدت علىولكم أن تتخيلوا رد فعل أي رجل يعتقد أنه وقع في فخ عيلة نصابة، سمعنا منه أعنف و أردئ الكلمات والاتهامات، معذور، كيف يمكن لعقله أن يتخيل سيناريو آخر .

وفي حين توقعت أن أبي سوف يأخذ رد فعل عنيف ليعيد الخاتم، هو لم يفعل شيء بتاتاً ، لكنه أخرج دفتر شيكاته وكتب له شيك بثمن الخاتم، وأنا أنظر لا أصدق ما يحدث أمامى، بعدها طلب أبي أن يتحدث معي قليلا .

أجلسني أمامه واعتدل في جلسته واقترب مني ثم قال لي بهدوء وهو ينظر إلى:

-هل تعرفين لم انتحر عمها ؟

لم أفهم مغزى هذا السؤال في هذا التوقيت لكنى جاوبته وأنا مخنوقة بشدة، وقلت له غير مهتمة بالأمر:

--الناس تقول عنه مجنون .

احمر وجه أبي غضبا وضيقا وقال لي:

-لا بل كان مريض ....وهى أيضا مريضة ، ولابد أن تفهمى وتقدرى الأمر جيدا .

نظرت بتعجب، لا أفهم ما يقصد، فسألته:

-ماذا تقصد أبي ؟

طأطأ رأسه إلى الأسفل وقال بأسف:

-هى مريضة نفسيا ، لديها مرض يسمى الفُصام أو السكيزوفرينيا هو نوع من الأمراض الذي يتسم بسلوك اجتماعي غير طبيعي وفشل في تميز الواقع، أعراضه الشائعة الوهام واضطراب الفكر والهلوسة السمعية .

صمت برهة، وهو يمعن النظر إلى ثم أكمل:

-هل يمكنك تخيل أصوات في رأسك تأمرك بأفعال لا تريديها طوال الوقت، حتي تسقط مقاومتك وتطيعيها ، هو مرض يتسم بانعدام الإرادة .

كنت مأخوذة تماما بكلامه ، أنظر اليه ولا أصدق وهو يكمل حديثه:

-عادة ما تظهر الأعراض تدريجيا، حيث تبدأ مراحل المرض الجدية في سنوات المراهقة وتزداد .

تم تشخيص المرض عليها منذ عام تقريبا وازدادت حالتها سوءاً وتدهورت سريعاً وبدأت تتغير كثيرا، هو مرض وراثي يظهر في عائلتهم بين الأجيال ، وأباها هو صديق عمرى وأعلم مدى مصابه، هم أهل لنا وليس فقط مجرد أصدقاء، لن نتخلي عنها ملك، لن نفعل، بدأت علاجها وستستقر قريباً إن شاء الله.

اهتز العالم حولي...

وانقلبت كل الأفكار التى حشوت بها عقلي واكتشفت، أني أنا الحقيرة وليست هى، تخليت عنها في محنتها ولم أستطع التمييز، لم يكن كذباً أو ادعاءاً هى لم تتعمد ما تفعله، كانت فقط تهذي ، تهلوس ، وتتسلط عليها الأفكار ،

بعدها لم أتركها أبدًا ....

ظللت قريبة منها وهذا حسن مزاجها، فلقد مالت إلى المزاج الاكتئابي في بعادى عنها أكثر، ثم بدأ الدواء يسري مفعوله و استقرت حالتها وأصبحت طبيعية وعادت كما كانت قديماً، صديقتي وأختى وحبيبتي .

ثم في يوم وهى تجلس معي في بيتي ادعت أنها وجدت خاتم محشورا تحت حرف الدولاب، جميعنا صدقناها وتفاجأنا كأننا لم نعلم مكانه قط ، وحمدنا الله أننا وجدنا.

المعشوقات

كيف يمكن أن أعوض هذا الذي يرحل داخلي ،هناك نقص أشعر به دائماً داخلي دون اختياري، نقص فرضته على الحياة فرضا ،أنا البومة ...أو القردة ...أوأي كانت ألقابي، كلها تؤكد نقص هذا الشيء الجميل الذي يزين حياة البنات (الجمال) هذا الشعور بالدفء والحب والطمأنينة انتزعوه منى انتزاعا لأني لا أملك الجمال .

منذ طفولتى وأنا لا حق لي في أن أكون كائناً طبيعياً ، ولدت وسط أخوات غاية في الجمال ، فزاد هذا من قبحى ليجعلنى كعبد أسود وسط عائلة الأمراء، سوداء جعداء غليظة غبية ، لم أصلح لأى شيء ، حاولت تعويض هذا القبح بجمال شخصيتى ولكن الكون عزف عن استقبالي والترحاب بي.

لم أكن خفيفة الروح والظل كما تخيلت، أتزين بالعبوس، ونظرات اللامبالاة أمام نظرات الناس الفضولية ، كرهت كل الناس بسبب فضول الناس، كانت الدنيا دائماً سوداء أمام عيني، وزاد سوادها أن تزوجت جميع أخواتى إلا قردتهم، زاد ذلك من سياط جلادى، (من يرضى بك ومن يتزوجك) كان بيتى وأهلي أكثر غلظة من كل الناس الذين كرهتهم.....

حتي أنى سمعتها في وجهي بمنتهي الصراحة لست مناسبة لرجل أو يرغب بها رجل طبيعي ، ضاعت أنقي مشاعرى ما بين خوف وقلق وتردد وخجل وكبرياء وكرامة وعزة نفس، كنت أسمع عن وأد البنات في الجاهلية وظننت أنه بدعة انقرضت، لكن وأد البنات مازال يمارسه البعض حين يوأد أجمل ما بداخلك تحت طائلة معايير المجتمع .

أحلامى كانت الوسيلة الدفاعية الوحيدة التى أحرس بها حياتى، ثم لم يكن لي الحق الكامل في الحلم ، أشعرأنى وصلت إلي مرحلة التوقف والشلل و البلادة ، تلك التي لا جميل يسعدنا ولا حزن يقهرنا، مرحلة اللاتعاسة واللافرحة ، فقط لحظات تشبه بعضها تمر وترحل ونحن لا نملك بها ما أردنا يوماً .

أصبحت أكره الجميع ولا أحب رؤية أحد أو الحديث مع أحد ، وانطويت علي نفسي ، حتى في التعليم تقاعست قواي لماذا أجهد نفسي في أى شيء ولا شيء سيشفع لقبحي هذا ثم قررت ارتداء النقاب لأختفي وراءه ، لأهرب من نظرات المتطفلين .

قررت التخفي داخل وحدتى ، شعور الوحدة لا يكمن في وجود المحيطين أو بعدهم، الوحدة تكمن داخلنا ، تنبع من أعماقنا ، ولا تختفي إلا حين نحب ، حتي أتى يوم سمعت بعض الهمسات والضحكات، وعلمت الأمر، ارتبكت وأحسست بدوار وذهلت من هذا الشقي الذى يرغب بالزواج من غوريلا.

وفرحت فرحة مزيفة حتى ظهرت أمامى الحقيقة كاملة، فهذا الرجل لا رغبة لديه في أنا، بل فقط يبحث عن أم بديلة لأبناءه، ومن تتزوج رجل كبير السن فقير بثلاثة أطفال في بدايات العمر .

كنت أفضل اختياراته وكان اختيارى الوحيد ولم أجد أى معارضة عند العائلة علي وضعه وظروفه، كأنهم يعلمون أن لا أمل لي إلا أن أتزوج بهذه الطريقة، هو حتي لم يرانى أو يهتم لشكلي ، من المؤكد أنه كان علي سابق معرفة بمدى قبحى، كان فقط عرضاً واضحاً، ليس من ضمنه شرط الحب، ولا أدري سبب موافقتي، لعلي أريد إثبات أن من مثلي يمكنها أن تتزوج مثل باقي المخلوقات أو تزوجت لأهرب من هذا البيت الذى طال فيه انتظارى وملوا من وجودى وقد قبلنى بظروفى فلم لا أقبله بظروفه .

دخلت بيته فكانت هذه أول علاقة لي بشيء إسمه الإنسانية، أول علاقة تمس إنسانيتي رأيتها في نظرة عيون أطفاله ،لأني أعلم معنى الرفض ومعنى الحرمان، رحبت بهؤلاء الصغار وأخرجتهم من الإنطوائية إلي عالمى ، عالم حاولت تزينته من أجلهم بعطاء بلا مقابل لأعلم لماذا كنت أهديهم وقتى واهتمامى، غير أني لأول مرة بحياتي أنجح بأمر ما وأفعل شيء ما ذات قيمة حقيقية، واكتشفت أن السعادة هي رؤية ابتساماتهم و الشعور بقبلاتهم، اكتشفت أن السعادة الحقيقية تكمن كلها في العطاء، كانوا يقبلون علي بالحب والأحضان والقبلات التى حرمتني منها الحياة عمرى كله، الأطفال لا يهتموا كثيراً بالشكل ولا تلهي أعينهم المظاهر ، ينظرون ويشعرون بقلوبهم أولاً.

منذ أول لحظة شعرت أنى لا أود أن تظلمهم الحياة بظروف لم يختاروها مثلي، كان هدفي أن لا أجعل أحد منهم يعانى الشعور الذى تذوقته ، الوحدة والاضطهاد ، وإحساس الدونية الذى جعلنى بكل هذا العنف والغضب والكراهية والبرود تجاه الحياة، تكشفت أمامى حقائق جديدة علي يد هؤلاء الصغار الذين لم يلبثوا أن لقبونى (ماما) ...

كم هى غالية شافية هذه الكلمة، حين سمعتها علمت أن للحب أوجه أخرى يمكن أن يمتعنا بها، و أن القلوب الصغيرة تدفء المشاعر وتبعث الطمأنينة وتحرك الوجدان وتثلج القلب أكثر مما تفعل القلوب الكبيرة .

لأول مرة أرانى جميلة في عيون أحد ما، كنت جميلة في عيونهم البريئة وتعلقهم بي، لأول مرة أشعر شعور ملكة متوجة علي عرش قلب أحدهم، من قال ان فاقد الشيء لا يعطيه، بل هو أكثر من يعطيه خاصة لأنه تذوق مرارة فقده، كنت من يروي أرضهم وأحلامهم واحتياجاتهم، واكتشفت أن النساء يمكن أن يصبحن معشوقات فقط عندما يمنحن غيرهم السعادة.

أما زوجى، فالرجل يتعود علي شكل زوجته أى كان، لكنه لا يتعود علي قبح طبعها، سمعته يخبرأخته في مكالمة يعتقد أني لا أسمعها أن السماحة تعكس جمالها علي أى الوجه أكثر من الملامح ، مهما كان يعتقده الناس قبيحاً .

في هذا البيت حصلت على جراحة نفسية تجميلية، وتدفق قلبي ليهدى إلى وجهى السعادة، وملامح جمال نقاء النفس والسريرة.....

شعرة بيضاء

أخبرتها بكل فظاظة:

(زادت اليوم معاركك معركة جديدة، فأنا إعلان لمعركتك القادمة ضد ذاتك ، ضد جسدك)

أصابها الهلع والخوف عندما لمحتها لأول مرة ، هي أول شعرة بيضاء وتنظر إليها بتحدي غريب ، جلست أمام المرآة تتأملها، وتتأمل ذاتها عيون ذابلة وملامح متشققة بعد أن تجاوز عمرها الأربع عقود، دارت فى رأسها ذكريات ماضيها وما مرت به من مشاق .

دون إرادة يغزوها الإحساس بالإحباط الداخلي الذى يقلل شأنها أمام ذاتها، انتهت صلاحيتها قبل أن تفعل ما تحب، أصبحت غير مرغوبة ولم تقابل أبدا من تحب ، بداية هذا اليوم ليست مرغوبة وليست كما يجب، الأمر ضد توقعاتها ، ستبدأ عمل كل شيء بصعوبة شديدة وثِقل وكسل ، لا تتذكر متى فترت همتها وتثاقلت عزيمته بهذا الشكل .

لعل تلك الشعرة البيضاء هي من أيقظت الثورة داخلها ، كلما همت بإخفائها همت نافرة مستنفرة تصر علي إعلان وجودها واستفزاز مشاعرها .

نظرت إليها في المرآة بانكسار مهزومة قائلة لها:

_لا تتحدى أبداً امرأة لم يعد لديها ما تخسره .

فكرت بكل عصبية هل تقتلعها من جذورها أم تكتفي بقتل ألوانها الملائكية المزعومة بلون الحداد، لن تسمح لشعرة عديمة الجدوى من اختراق مشاعرها كل صباح، عليها أن تتغلب عليها .

حينها أخبرتها مرة أخرى :

-أعلم أنك يائسة تماماً ، عجزتى عن حيازة أي من أحلامك أو حتى الحصول علي أفضلها ، أنا أعرفك تماما ، فأنا منك ، لا تحاولي مقاومتى، لا تحاولي مقاومة يأسك وإحباطك ، إنه يصيبك بتكرار نتيجة كل هذه التجارب الفاشلة، وقلة إنجازات، أنت شخصية مُنكسرة.. مهزومة... يائسة....وتعيسة .

تلك الملعونة تتغلغل إلي مشاعرها بصوت قوى و تفيض عليها من أفكارها الموجعة ، تتساقط منها نفسها، وتُدفن روحها في قبور اليأس علي مشارف صحراء النهاية .

سقطت منها دمعة علي غير إرادة وهي تفكر، كيف تنفض عنها خور ضعفها فاليأس لا يليق بها، اليأس لا يليق بكبار النفوس .

نظرة أخرى لتلك الشعرة أصرت معها أن تصبغها ببعض الكبرياء ، محاولة أخيرة ألا تظهر شديدة الضعف ثم قالت:

_غالباً ما ربح اليأس المعارك .

همت بفتح درجها لإخراج مقص حاد لقتل تلك الشعرة قبل أن تحتج تلك الأخيرة بأكثر أفكارها شراً وأكثر أسلحتها شراسة .

قالت لها مرة أخرى:

_إن اقتلعتني فلن تكف الرسل البيضاء عن الظهور لتذكرك بيأسك واقتراب أجلك .
إنتزعت منها اللعينة همتها لخلعها ، ولكنها بثت إليها همة أخرى ، فما من وسيلة تعينها علي التغلب علي الصعاب إلا إختراقها، وإن فقدت أملها لتغيير الواقع عليها تغيير نفسها، تغيير نظرتها لذاتها التي تتغير، عليها أن تتأقلم، أن يكون يأسها مهرب للإيمان، كي تتذوق الجمال بما تريده أهواءها ورغباتها في كل مرحلة جديدة تمر عليها.
قررت أن ترفض الخوف مما يخافه الناس ، فلتدعي أن الشيب أمر جميل كانت تنتظره لإكتمال نضوجها، أنها في مرحلة وقار كانت تريدها وتبحث عنها كي تكتمل أنوثتها .
إبتسامة أخيرة أهدتها لنفسها مجاملة في المرآة بكل كبرياء وتعالي، رفعت شعرها وقصعته بما يظهر الشعرة البيضاء كتاج فوق رأسها قائلة لشعرتها:
_الجمال لا يتوقف علي سن، بدأت مرحلة جمال من نوع آخر، ليس هذا خريف العمر، بل ربيع الإكتمال أيتها الشعرة وأنا سأحتفظ بك كي يزداد إيماني بنفسي، لأتيقن كم أنا جميلة رغم وجودك بحياتي .
رحلت عن مرآتها سريعاً وهى تدندن أغنيتها المفضلة كي تخفض صوت أفكارها وتبدأ يومها بنشاط لم تعتاده.

الخطاب

خرجت مسرعا من المنزل ، ..
أخبرتهم :" دعوها سأتصرف معها عند عودتى " ،أغلقت الباب بقوة وخرجت مسرعاً أجر خطواتى إلي المسجد، ثقلت الذكريات على كاهلي وأفكارى، ما هذا الذي سمعته من أمها و أخيها وما قرأته بعينى بهذا الخطاب .
في معية الله وحدى لا أعلم ولا أدرى كيف أتصرف معها، ذهبت إلى المسجد القريب من المنزل، جلست علي الأرض و أنا أسند ثقل رأسى علي أحد العواميد واضعاً كفي علي وجع صدرى، تؤلمنى تلك النخزة التى أشعرها بروحى، طفلتى البريئة ماذا فعلت بي، كيف ومتى ذلك وإلى أى مدى وصلت بينهم العلاقة، كانت تلعب حولي بضفائرها المجدولة وعرائسها منذ لحظات قريبة، هل أصبحت فتاة كبيرة تحب وتشتاق، كيف حولت كل تفاصيلها الجميلة لنخزات بصدرى .
رميت رأسى بين ساقي وإحتضنتها بكفي أخاف أن يرى الناس وجعى فيعلموا أنها ابنتى ، أنها أصبحت عارى ، أو قد يكون الجميع علي علم بفضيحتى ويتغامزوا ويتلامزوا من خلفي، وأنا وحدي الجاهل، كيف فعلتِ هذا بأبيكِ أيتها الشيطانة...
ياالله..
كيف نستطيع أن نربي أبنائنا هذه الأيام على ما نريد؟ وحسب ما نحب ؟و كيف نضمن نتائج ما نقدمه لهم؟
كيف استمرت تلك العلاقة دون أن نعلم بها جميعاً ؟
عندما أتى ذلك الخطيب يدق بابنا كنت سعيدا به كثيراً ، أخيراً جاء الوقت كي أفرح بعروستى التى أضنيت عمرى كله لأجل تربيتها، لم أجد ما يعيبه بل به من الصفات والمميزات ما يجعل أى فتاة تتمناه وتطير به فرحا، حتى أخيها سأل عنه وعن سيرته ولم نجد ما يعيبه، غير أنها أصرت علي الرفض، حاولنا دفعها لرؤيته والجلوس معه والحديث ، لعلها تغير رأيها، لكنها أصرت، كلما حاولنا إقناعها وتقريب المسافة بينهما كلما زاد إصرارها بالرفض .
عندها بدأ الجميع بالشك، لكنها أحضرت المصحف وحلفت وأقسمت عليه أمامنا جميعا أنه لا أحد آخر في حياتها وهى تبكى بجنون وعصبية .
أنا صدقتها، إنها ابنتي البريئة، طفلتي، لكن أخيها لم يصدق ، ظل يفتش أغراضها أثناء غيابها بالجامعة، حتى حصل علي هذا الخطاب .
»هذا الصباح ليس ككل صباح، يتوقع منى الجميع سعادة لا أستطيع تمثيلها وطيفك يلوح في كل أركان خيالى، حينما نشتاق نشعر أن الكون على ملئه سيفضحنا ويعلم ما يدور ببالنا ، كيف أتقن تمثيل السعادة وقد غادرت برصيد سعادتى دون ذنب أذكره غير أنى أحببتك ، كنت أحبك وبداخلي ألف نبضة تخاف فقدناك ، والآن فقدتك وبداخلي ألف طعنة من وقع غيابك ، فما أوحش الأيام عند غياب وجه اعتدنا سعادة وجوده، كيف تركتني لا أملك إلا فراغ قاتل

يوصمنى بالعجز والضعف ، وكيف أثق بقلبي أن يحسن الاختيار مرة أخرى ، انتظرتك ولما طال الانتظار عملت أنك لن تعود ، علمت أنى فقدتك وفقدت معك القدرة علي أن أبدأ من جديد«

عندما قرأ أخوها هذا الخطاب جن جنونه و إنهال عليها ضربا وركلا وتوبيخا حتى كادت تموت بين يده عندها نجدتها أمها قبل أن أصل للمنزل ويخبرونى بالمصيبة.

صوت الآذان اختلط بتساؤلاتي ، لماذا فقدت القدرة علي البدء من جديد هذه الحقيرة ؟ ماذا أفقدها؟؟ وماذا يعيبها ؟؟ هل أكون أقل رجولة من ابنى فلا أستطيع كسر ضلوعهاأو قتلها لأغسل عارى ،هل عجزت عن مواجهتها بعد كل ما فعلت .

الآن بدلاً من تعليق الأنوار علي واجهة المنزل للاحتفال بها سنقيم صوان عزاها ونتخلص منها ومن مصيبتنا

.فجأة اشتدت قوتى وقررت أن أفعلها، علمت الآن لماذا اعتاد العرب وأد فتياتهن في المهد، خرجت من المسجد قبل أن تُقام الصلاة يسوقنى الغضب، والأفكار تتسلط علي عقلي وتسممنى، هرولت مسرعاً تدفعنى قوة شيطانية غريبة، سأعلم أولاً من هذا الحقير قبل قتلها ، حتى يلحق بها إلي نار جهنم، ثم أطلق أمها، نعم لا تستحق إلا الطلاق ، لم تستطع الحفاظ علي الأمانة التى استودعتها في غيابي، إنها لا تستحق البقاء في بيتى بعد الآن .

دخلت من باب المنزلأركله بقدمى بقوة، والجميع يختفي من أمامي خوفا من ثورة غضبي، هرولت إلى حجرتها، فتحت الباب بقوة وهي تنظر إلى برهبة، كأنها تتساءل عن الطريقة التي سأبطش بها وأنا أعبر خلال الباب نحوها بغضبي ، دخلت يتطاير الشرر من عينى وأنا أنظر نحوها بكل غل العالم .

ثم....

فجأة....

تجمدت مكانى...

لمحت بعينيها تلك النظرة، فانبسطت كل عضلاتي المشدودة، وانفرج غضبي العارم عن شفقة قوية ، ما هذه النظرة التي تحملها عيونها، ما كل هذا الحزن والانكسار ، متى احتلتها كل هذه الوحدة ، نظرتها تخبرني، "أنى اكتفيت " قد أصبح الجميع ضدى ، وجهها تملؤه الكدمات وأثر الإهانة ولم أدرِ ما حدث ساعتها إلا أن كل تفاصيل غضبي قد هربت ولانت ملامحى ووقفت جامداً مكانى، تمر علي اللحظات كالدهر ، تغشاني أطلال صمتٍ حزين دفعني للجمود في مكانى .

كنت امتزج بكل أنواع المشاعر ، ما بين الغضب والاستياء والذنب والعطف انفطر قلبي وجعاً وانشق ، وصوت ضميري يقتلنى .

"يبدو أن المشكلة ليست في زوجتك ولا في ابنتك بل فيك أنت، أنت غائباً عنها و نسيت احتضانها، نسيت تقبيلها وتركت مكانك خالي يتلاعب به من لا ضمير له، بحثت عن الحب بعيدا عن أحضان بيتها لأن الحب هنا لا يكفيها"..

كيف ظننت أنى أستطيع اقتلاعها من قلبي بهذه البساطة، لابد أن أعترف أن انتهاء العلاقات العاطفية والانفصال عن حبيب هو أكثر الأمور الشاقة بالحياة ، إنها تتألم من أثر التجربة قبل

أثر إهانتها، تملك ذلك الشعور بأن الحياة حولها تتوقف ولا يفهم من حولها أنها تعاني و لا تقوى علي ذلك وحدها، إنها تحتاج الاحتواء من شخص قريب، تحتاج إلى الحب ، ما نوع ذلك البشر الذى يتلاعب بقلب ومشاعر فتاة بريئة ، المسكينة ألا تكفيها وحدتها وعذابها، لنهديها كل هذا الاحتقار والغضب أيضا، كم هى وحيدة طفلتى ، طفلتي البريئة.

اقتربت منها وعندما هممت لرفع يدى، ارتعبت المسكينة وارتعشت مكانها خوفا منى، ظنت أن أبطش بها أنا الآخر، قبل أن تستسلم لذراعى غير مصدقة أنى فقط أحتضنها، انسالت دموعها علي صدرى وقلبي ينفطر معها ،

-أبببببي..

قالتها غير مصدقة من خلال دموعها كغارق وجد طوق نجاة في عرض البحر، طبعت قبلة علي جبينها و شددت بأحضانى عليها:

-حبيبتى ..لا تبتأسي ولا تحزنى ..أعدك أن لا يؤذيكِ أى إنسان آخر وأنا إلي جوارك .

اصطياد فخ

كانت تتحدث في جوالها، حين سمعها تشهق بصوت ليس بمنخفض وتقول:
_كيف تكونى مع شخص تربطك به بدايه علاقة رائعة وتنتهى بهذه القسوة ؟؟؟....!!!
يجلسان علي مكتبين متقابلين في العمل منذ فترة ليست قليلة، في نفس غرفة المكتب، حين أنهت حوارها لم يحتج منه الأمر لذكاء كبير ليعلم إنها إحدى صديقاتها، رفع رأسه من بين أكوام الورق وبعيدا عن شاشة الكمبيوتر ونظر إليها قائلاً:
_إنه الاعتياد.
فاجأها بكلمته فنظرت إليه متعجبة ، نظرة عينها كأنها تود مزيد من التوضيح لسبب كلماته ، فاستطرد قائلاً:
_ذلك الخبيث الذى يحول كل ما تحبه وتتوق إليه إلي مجرد عادة ، لتفقد مذاق ما كنت تحبه وتشتاقه دائما،هو سبب فشل علاقات كنت تعتقدين أنها فريدة من نوعها ومتميزة.
نظرت إليه بغيظ محاولة أن تبدو نظراتها غير مهتمة وقد فهمت أنه كان يستمع إلى مكالمتها الهاتفية وقالت:
_هل لهذا يرحل الرجال تاركين وراءهم أطلال قلوب نسائهن، هل تعلم تتألم النساء من فقدان الحب، لكن الأسوء من ذلك أن يتألم الرجال لفقدان قدرتهم علي الحب .
في داخلها، قلبها يرقص و صوت داخلها يقول :" ها هو يخرج أخيراً عن صمته المعتاد، هذا الذى يقتلنى فأحتار أهو بلا قلب أم يملك قلباً ويخجل من الجهر به، حسنا ،لا تعترفي بتلك النيران داخلك وابتسمى بلا اهتمام ."
كان يتسلل بالنظر إليها من الحين للآخر وصوت داخله يقول:
"إن ولادة حب داخلك شيء لا يسهل إخفاؤه" يري بهجة وإشراق علي وجهها البريء، غارقة في شغف البدايات لدرجة أنه يخشى عليها من نفسه بما تحمله من هدف المعرفة، الشك يراوده بين أن يأخذ بعض حظه من هذه الفرصة لاقتحام تجربة جديدة ،وبين خوفه من أن يكون أول من يشيد داخلها مدنًا ويترك أطلالا بأثر لا ينسى، لكن يراوده قلبه لاقتحام أرض جديدة وتذوق مشاعر جديدة، صوت في داخله يحاول أن يتجاهله .
_كيف تتوقعين أن تتغلب العلاقات على الاعتياد ..
قالها مبتسماً
نظرت إليه وابتسمت ولم تجد ما تقول، فقط احمروجهها خجلاً عندما أطال النظر إليها، باغتها بسؤاله ، هل تناقش قضايا العلاقات الغرامية مع غريب...
نظر إليها مشفقاً ، يشعر ذلك الاضطراب الذي وُلد داخلها، يعلم كم هو مخيف العالم للذين يريدون الحب مثلها ، استطرد قائلا:
_هل تعرفين أن السبب الرئيسي لعدم استمرار العلاقات بنفس جمال بدايتها هو "التوقعات" هناك فجوة تنشأ وتتسع عندما نصطدم بالواقع ونلاحظ أنه لم يكن كما نتوقعه .
ردت سريعاً تتمنى أن تمحو أفكاره هذه:

_متشائم ...يمكن أن تكتمل العلاقات بنفس روح البدايات .
ابتسم ساخرا ورد بدوره:
_بل أنت المتفائلة
أخذت نفسا عميقا، تحاول أن تستجمع قواها لتكون ذكية الحجة وواسعة الحيلة، قبل أن تقول :
_البعض يعاود تكرار البدايات في علاقات أخرى دون أن ينظر إلي ما أدى إلى الفشل الأول، تتكوم في حياته تجارب مكررة حتى يعود يعيشها بلا طعم فلا يتذوق فيها السعادة، بل يختلط داخله حزن دفين ويأس شديدعندما يتوجب وجود سعادة وتفاؤل.
نظر إليها وهو يتعجب من شدة صدقها وصمتت هي وفي داخلها تقول "لم أستطع الوصول إليك بعد ، أعتقد أنى أتحمل فقط كمحاولة لعدم طمس تلك البهجة التى بدأت في الاشتعال داخلي.... "..
لحظات صمت متبادل قطعته عندما استجمعت بواقي شجاعتها لاكمال حديثها و عادت تقول :
_إن الإنسان بطبيعته عندما يصل إلى الهدف تقل همته، والكثير منّا يعتبر أن الوصول لعلاقة عاطفية مع شخص آخر هو الهدف ذاته، لكن نستطيع أن نُكمِل العلاقات بنفس روح البدايات عندما يكون الهدف أكبر من مجرد الحب، أكبر بكثير، أن يكون هدفك ان تحقق وجودك من خلال تواجد ذلك الشريك معك داخل الحب، فتحب وجودكما معا ويصير شعور الاعتياد شعور تعزيز لكلاكما، لأنك تحب ولأنك تتغذي من هذا الحب.
نظر إليها متأملاً ، متعجباً، إن الوجوه تخفي أحياناً جمالاً أقوى كثيراً مما تظهره ، جمال يتسلل بفلسفة هادئة إذا انتبهت له بشدة وأنصت له، يعتقد أن لكل امرأة جمالاً داخلياً شيقاً، يحتاج إلي فرصة اكتشافه، يحتاج إلي فن، موهبة، شغف لاقتحامه، حتى يصل إلي قمة المعرفة .
هل تسلل إليه للتو شغف البدايات التي حاول الهروب منه طيلة هذه المدة، ذلك الصوت الذى حاول قتله منذ رآها أول مرة ، ابتسم، اعتدل في جلسته محاولاً جذب المزيد من إعجابها وقال:
"أو تعلمين، أعتقد أنك محقة ، العلاقات يمكن أن تكون جميلة إلي اللانهاية...."
نظرة وابتسامة متبادلة قطعت الفراغ الواقع بينهما، و اشتعال شرارة أولى واضحة ، هل هو يتمنى أم يزايد علي حجم توقعاته معها ولا يتعلم، هو لا يعلم شيء الآن لأن شغف البدايات يجذبه إليها بلا هوادة.

.

كان النجاح حليفي

جلست وحيدة بباكية بغرفتها يتملكها الحزن واليأس والإحباط، لم تعد تقدر علي بذل المزيد ولا يرضى أحدهم أبدا، دائما متهمة بالتقصير ،أمسكت أوراقها، سلوتها الوحيدة وكتبت لابنائها رسالة، تتمنى أن تصلهم يوما:

"أبنائى الأعزاء...

كان دائما النجاح حليفي إلى أن أصبحت أم ،

واكتشفت أنها أصعب وظيفة يمكن أن يتحملها كائن حي، وظيفة بدوام كامل لا انقطاع ولا امتناع، لا أجازات ولا اعتذارا ت ،

لا يمكنني أن أملك أمري ، لا يمكن أن أؤجل أمومتي كما أجلت امتحاني، لا يمكنني أن أكون الأولى في الأمومة وليست لها شهادات نجاح وتقدير وخبرة ولا تُعتمد من أي جامعة، ولها شروطها الصعبة، كيف أكون حازمة حاسمة حانية قريبة .

كيف لا بد من تبديل أولوياتي وخصوصياتي وانشغالاتي ، كيف لابد من تغيير حياتي وأيامي، في الأمومة تتخلي عن ملابسك المفضلة و تتخلي عن كعبك العالي، وعن أظافر لطالما اهتتمت بشكلها وجمالها .

ثم كيف أننى لابد أن لا أخطئ وكيف دائما كنت أخطئ ، كيف أننى في وسط كل هذا لم أرضيكم أبداً ، لم أعد أستطيع التفوق، لم أعد استطيع التميز ولا أستطيع الاعتماد علي علمي، لم تعد تعني لي كثيرا شهاداتى، بل فقط اعتمدت علي حدسي كأم،

ولم يكن سهلاً أبدا....

لم يكن سهلاً استبدال كريم الصباح بقيء طفل صغير، ولا استبدال عطورك برائحة اللبن المخمر ولا رؤية شعرك يتساقط وعضلات إحدى ذراعيك ينمو أكثر من الآخر، لم يكن سهلاً التخلي عن هواياتك ، قراءتك، وتطلعاتك، وأحلامك ، لاستبدالها بعالم محدود الجوانب داخل مطبخ ليكون أقصي علمك كيف يكون الأكل مميز وشهى ومتجدد التحول إلي عمل لم تسعي إليه أحلامك ولكنه فرض فرضا، أن تكونى خبيرة في التنظيف ومكافحة الأتربة، أن تكونى معلمة ومدرسة ومدربة إن استلزم الأمر ، أن تكونى ممرضة وسائق بل وسوبر مامى ليكون كل شيء في حياة أبنائك مثاليا، ولكنه دائما لا شيء مثالي.

بل كنت عالقة في عالم أقصى ما وصلت له هو شبه مثالي، أقصي أمنياتي أن أرى به شبهة مثالية، لكنه بالتأكيد ليس مرضياً ولا كافياً ولا كاملاً .

ولا أدرى أى فطرة وضعها الله داخل الأم لتكون بالحماقة أن تحب كل هذا وتظل بنفس الحماس لتصنعه كل يوم في حياتها، لا أدرى أى فطرة دفعها الله داخل الأم فتحب هذا الكائن

المزعج بل وتتمني إرضاءه وسعادته ورؤية الابتسامة علي وجهه، أو الشعور الذى يخلفه قبلة من هذا المخلوق الذى يتغذى عليها ومنها وبها، أو رؤية إبتسامة عينيه التى تغسل كل شقاء النهار وسهر الليل ووجع الأيام .

سبحانك ربي.....

لن يعلم قيمة أمه إلا من جرب حرب الأمومة، كيف أن يوم مضني طويل من العمل أو الدراسة هو أسهل من إقناع طفل صغير بشرب كوب من اللبن، وكيف رغم فشل المحاولات يظل إصرارى هو هو كل يوم وبمرور السنين أنني يوما ما سأقنعه بشرب اللبن، أن تدير شركة هو أسهل من إدارة مجموعة من الأطفال الصغار.

أن تشق الصخر هو أسهل من تغيير رأى طفل أومزاجه أوانفعاله ، من مكاني هذا أقدم تحية لكل أم.....

من أصابت....

من أخطأت...

من ترضى عن نفسها ومن تلوم ، يكفيك شرف الحب والإيثار، يكفيك شرف المباركة، يكفيك شرف الأمومة، يكفيك تكريم الله ورسوله.

حقاً ، أصعب وظيفة، أصعب امتحان ، أصعب درس وتحدي لك بالحياة ، ولو كنت أعلم لاعتذرت عن قبولها ، عذراً أبنائى علي قدراتى وعلمي الضئيل، اعتذاري عن أخطاء لم أتعمدها ولم أعرفها ولا أراها.

فقط لتعلموا كيف حاولت أن أهديكم كل الحب في محاولات مستميته شاقة مضنية..

شكرا أمى..

وتقديرى لكل أم....

أنهت رسالتها، دفنت داخلها ثقل مشاعرها وإحباطها وتعاستها ،

دستها بين مقتنياتها وانطلقت الي عالمها...

عالم الأمومة..

وعد

تنهدت (وعد) ثم قالت لن أدع البكاء يتمكن مني، أنا لن أتحمل المزيد من هذا، لما علي أن أتحمل كل هذه الأشياء من حولي ، أغلبها ليست جديرة بالاهتمام الذي نعطيها إياه ، تشعر أن كل ما حولها ليس بمكانه الصحيح ، حتى هى ليست في مكانها الصحيح ، إذا كانت قد عبرت كل الطرقات في حياتها وحدها فماذا تنتظر هنا في هذا المكان الآن...

في هذه الحياة...

لم يتبقي لها هنا المزيد..

كل العالم خذلوها يوما ما، حتي هو، قد خذلها برحيله...

)بعد كل هذه الوعود ...نسانى ...أنا وعده ..ما المتبقي لي هنا(

الجملة الوحيدة التى تتردد في ذهنها هذه الأيام هي هذه الكلمات ، حتي أمها وأبوها خذلوها ورحلوا عن الحياة ، تود لو تتخلص من حياتها هنا، هى بائسة وحيدة لا تملك إلا قطتها أنيستها الوحيدة وبعض الكتب...

نهضت من فراشها...

نظرت إلي هذا الكائن في المرآة الذى يشبهها ولا تعرفه، تتأمل وجهها ، كيف أصبح هذ شكلها كأنها تنظر إلي شبحها ليست حزينه ، ليست سعيدة، لا ملامح لها ، داخلها، كل الأشياء لاذع ، لا حلو ولا مر، لا نكهة له ، فكرت ، لابد لها من حل قاطع ، لن تحتمل المزيد وقد اتخذت قرارها، قرار لابد أن تنفذه منذ فترة طويلة ، قد صبرت أطول من اللازم تنظر إلي نفسها وتحدثها...

فقدت قدرتها علي البكاء والابتسام.....

أشاحت وجهها عن المرآة مقررة تنفيذ قرارها....

كانت "وعد" في الخامسة والثلاثين من عمرها ولم تتزوج بعد، تحيا حياة صعبة في مجتمع شرقي لقبها عانس، ثم أتى ذلك الفارس علي حصانه الأبيض، ظنت أنه سيخطفها ويعوضها، لكنه فقط خطف روحها ورحل، ثم انطوت علي نفسها في الأيام الأخيرة لا ترد ولا تتحدث ولا تجيب اتصالات أحد، النهوض من تحت غطائها كأنه خيانة لحالها، يبدو أنه لم يكن سهلا عليها رحيل من تحب ، أو من ظنت أنه يحبها ، الآن هى لا تظهر لأصدقائها علي الفيس بوك وجوالها مغلق ، لم تساعدهم التكنولوجيا الحديثة ، فقد محت أثارها من الفيس والواتس وكل التطبيقات الحديثة ، كما لاحظ عليها الأصدقاء مظاهر الكآبة والصمت والإرهاق قبل أيام من اختفائها ثم فجأة...

اختفت وعد...

اختفت تماماً...

ثم..

فكروا في اقتحام منزلها....

لا يوجد حل آخر، لعلهم يجدوها فقط تحبس ذاتها بالمنزل فينقذوها من كآبتها ، ذهب بعض زملاء العمل إلى منزلها، وبعد عدة محاولات لقرع الباب وضرب الجرس ، قرروا اقتحام المكان مع الحارس....

دخلوا إلى منزلها ثم أصاب الجميع الذهول عندما لم يجدوها لا أثر لها في شقتها ، التى تركتها نظيفة مرتبة ومأنقة....

لكنهم وجدوا فقط هذه الرسالة.....

)أعزائي أعلم أنى not found علي الفيس ، وأنكم ستحاولون الإتصال فلن تجدونى، لا أدرى أن كنتم ستفتقدونى ، تفتقدوا ابتساماتي ، حكايات. ، كلامى أو حتى كآبتي و دموعى، ولا أدرى إن كان عاجلا أم آجلا سيكسر أحدهم باب شقتي ليبحث عن جثتى ، ولكن ما أدريه اكتشفت بعد مضي عمر طويل أن أروع الأشياء التي فعلتها على الإطلاق كنت وحدى ، سافرت كتبا ورحلات، وطرت عاليا فوق السحاب أطارد أحلامي ، ورسمت حبا بريشتي وألوان، صادقت كتبي وورقي وأقلامي ، تلك لحظاتى وحدى لذلك قررت الرحيل وحدي إلى مكان أبعد قليلا من الموت، رحلة تجوال حول العالم ، رحلة طويلة ، قد آن الأوان للتخلص من نفسي القديمة ، لا تبحثوا عني ستصلكم اخباري قريباً.

نصل أحيانا إلي حقيقة أن لا أحد في النهاية يهمه أمرك، السبيل الوحيد أن تهتم أنت بأمرك ، إياكم أن تعتقدوا أنى سأنتحر ، لا أحب أن أكون تلك المرأة المتخاذلة..المثيرة للشفقة.

أرجو من المتسبب في كسر باب شقتي إصلاحه قبل مغادرتكم المكان، أرجو أن أجد كل شيء مرتب كما تركته ، وداعا مؤقتا ولقاءا قريبا.(

حكاية زواج

يجلس يفكر، قد تعب من حياته بكل ما فيها، صبر كثيراً في هذا الزواج لكنه مستمر من أجل أبنائه ومن أجل مظهره الاجتماعي، ومن أجل أن الحياة لابد أن تستمر إنه كبير العائلة ولن يفقد هيبته ومركزه بين افرادها، هو من يحل مشاكل الناس وينصح الجميع ويتفاوض في حل المنازعات، كيف يعجز أمام مشكلته.

يكره موعد انصرافه إلى منزله ، أصبح جحيما رغم حبه لها، رغم حرصه والاهتمام بها، لكن ما بينهما لا يزهر ولا يثمر، بل يذبل دائما.

عندما رن هاتفه رد متثاقل لا يود الحديث مع أحد في هذه اللحظة، لكنه اضطر أن يرد علي أخيه، أثناء محادثته علم أن ابنة أخيه في مشكلة و يودون تدخله ككبير العيلة ، السيناريو المعتاد لفض النزاعات يتكرر وهو يسخر داخله (يا حلال المشاكل)....

ابنة أخيه في مشاكل متواصلة مع زوجها رغم أنهم تزوجوا بعد قصة حب كبيرة ، والآن لا يفهم لما كل هذا الخلاف يشق طريقه داخل حياتهم، لكن كمحاولة أخيرة قبل الانفصال يريد أن يتدخل بينهم، لعله يصلح بينهم فلا يضطرون إلى الانفصال ، لما هذه القرارات العاجلة ...

ذهب إليها، أغلق الباب وطلب أن تتحدث إليه بكل صراحة، فقالت:

)أنا أعطى وأعطى ولا أجد مقابل لهذا العطاء ، أنا أهدر راحتى ووقتي ومجهودى بلا تقدير أو فائدة ترجى ، أنا أحبه لكنه لا يحبني ، لا يقدر مجهودى ولا يحاول أن يسعدنى ولا يهتم إلا بنفسه فقط ، كأنه لا يرانى ولا يلاحظنى ولا يريد أن يعلم عني شيء، أنا جواره وحيدة .....(..

سمع منها وشعر بالانزعاج ، هو ليس خلاف، قد يكون فقط اختلاف في وجهات النظر ، وإذا كانت تحبه وتقدم كل هذا ما الذى يجعله لا يحبها، لابد إن الأمر به سر أكبر من هذا كله، لابد أن يسمع منه أيضاً.

ذهب إليه.....

قال هو بدوره:

(لا شيء مما أفعله يرضيها، أشعر معها أن هناك ما ينقص وأن ما أبذله ليس كافياً، رغم أني أبذل أقصى جهدى لمحاولة ارضائها ، كنت أحبها لكني لم أجد صدى لهذا الحب ولا أعتقد أنها أحبتني يوما دائما ما تسألني : هل تحبني ؟؟؟ لست أفهم لم هذا الشك في حبي وعدم الثقة، أعتقد أننى استنفذت الوقت الكافي في محاولة الإصلاح.....(

نظر إليه عاجزاً عن التعبير ، عاجزاً عن التفسير ، كلاهما أحب وأعطى وبذل حد الفشل... قد يكون فض النزاع بينهما ليس مستحيلا، بل يكون سهلا، لكنه تعلم منهما أكثر مما يمكن أن يفيدهم به، تعلم معنى العطاء ، كأنه وجد مفتاح لغز لحياته، وتذكر في تلك اللحظة كلمات زوجته كأنه يسمع صوتها داخل عقله:

هى :هل تحبنى ؟

هو : لماذا هذا السؤال، هل أنا مقصر معك في شيء .....؟
تذكر انزعاجه من سؤالها كثيرا، والجدل الطويل الذي يقعا فيه كل مرة، يتعجب لما لا تشعر بحبه، يشعر أنه مقصر رغم أنه يبذل أقصى جهده ، إن الامور أقرب من بعد نظره هذا ، هي فقط تريد أن تسمعها ، مجرد كلمة لها عمق قوي في نفسها، لم يكن إذاً اتهام له.
لعل للمراة أسئلة تسعي من خلالها إلى جذب الاهتمام حين تريده بأنه يلاحظها ويهتم.....
هل يعجبك فستانى ؟...
هل تلاحظ تغيير ؟...
أسئلة نمطية مزعجة يكرهها الرجال ، لكنها فقط تسعي إلى اقتناص كلمة غزل منه، وقد يكون هذا لأنه لم يشبعها من هذه الكلمات فجعلها تسعى لها بنفسها، إن البذل والعطاء والتضحية وحدهم لن يكفوا، إن كنت لا تعطى ما يتوقعه ويحتاجه الآخر ، أو إن كنت لا تعلم ما يريد ، الحب وحده لن يأمن السعادة ، لا يضمنوا الاستمرار ، فلابد من الفطنة والكياسة والذكاء العاطفي إن كنت تهتم بشريكك وحريص علي عدم خسارته، أقصر الطرق أن تعرف ما يتوقعه منك الآخر فلا تهدر محاولاتك في غير مكانها، حسن النوايا وحده ليس كافياً ، فكلٌ يحتاج إلى شيء خاص به ليزهر، ولن يزهر بغيره مهما أعطيت أو بذلت أو ضحيت.....

اختيار استثنائى

هي:
زيارتهم وضعتني في مأزق مع قلبي ومعه، نظرة عيونهم تحمل الرفض والازدراء وأنا أحمل داخلي الأمل ، ليت فؤادي يهدأ، أود لو أسألهم ماذا يريد العالم منا نحن النساء؟؟؟
تخطيت الثلاثين ، أعمل موظفة عادية في أحد الشركات ، لست ملكة جمال الكون ولست ابنة لأحد الأثرياء، هذا وضعنى في خانة " بلا مميزات كثيرة" بالنسبة لعروض الزواج ، ألتزم في علاقاتى مع الجميع حدود اللياقة ، رأيى في العلاقات أنها فقط مجرد بهدلة للفتاة بلا ضمانات، أن تتنازلى بلا مقابل ، حتى وصلت لعمرى هذا بلا حب ولو لمرة واحدة ، بلا مغامرة ، وفي المقابل أيضا بلا انكسار أو إحساس يوماً بالخذلان .
لا أرى مِن حولي إلا السخرية، البنات ترانى معقدة والرجال أليطة ، والأسر ترانى فتاة عبيطة ، لا أعرف ماذا يعني اصطياد عريس، ولم علي أن أكون دائما متحفزة بشباكى وصنارتى من أجل رجل ؟؟
ليتكم تفهمون أن التلون لإرضاء رجل واصطياده سيحولنى مع الوقت إلي حرباء تتلون لإرضاء الرجال ثم تفسد روحها الحقيقية بين الألوان دون أن تكسب رجل واحد ، بل ستخسر نفسها بلا مقابل ، حتى لو تزوجت فقد فزت بعقد وخاتم وليس رجل ، وتكون النتيجة الفشل ، إما معلناً أو مخفياً وراء الأبواب المغلقة، وداخل القلوب المغلقة .
أرى عيونهم تتفحصني وأصدق أني لا أرقى لهم، لماذا خانني قلبي وصدقت أن الحب نسمة باردة في شرد صيف وأن حقي أن احصل عليه، زماننا هذا غير حال الحب، رسالات إلكترونية تمر بلا إحساس مجرد كلمات متراصة ، تخطف القلوب سريعا ،. ثم تذهب بها سريعا أدراج الرياح بلا عودة.
لماذا أتوقع أن يفهمني أو يشعر بي أحد في زمن الحب يُخلق ويُصنع بما يناسب معايير العائلات، في تحول الحب إلى كائن بشع مشوه بلا نسب ولا أصول، يولد خائفاً وحيداً في الظلام و يختفي ويموت دون أن يتمتع بالنور....
الحب الآن يتعثر ويتكعبل من ضغوط الماديات والتكنولوجيا الحديثة التى لوثت الخصوصية وقتلت الرومانسية وأنا من أؤمن بمعاييري التى أثق بها ولم أغيرها يوماً ، إلى هذه اللحظة التي أرى بها نظرة عيونهم الموجعة....
ظننت أني وصلت مع نفسي إلي مرحلة السلام الداخلي حين قابلته وزدت إيماناً بنفسي وبمعتقداتي، جاءني يعتكف في واحتي بأمان فأهلا به دون أن أضطر للتغير أو التلون والتنازل وإذا لم يعجبهم حالي فسلاماً علي من مر بسلام ورحل، أما أنا فسأظل مؤمنة مطمئنة داخل واحة قلبي.

هو :

خبراً مزلزلاً للأسرة ، هاهو حلم حياتهم يتبخر ، إبنهم الوحيد المتميز الرائع الذي تتمناه كل القلوب ، كل البنات وكل العائلات .
لماذا هي... لماذا اختارها لتكون زوجتي ؟؟.
هل حدث أن تحدثت مع أحدهم وطال معه الحديث ومر الوقت واسترسلت الكلمات بسلاسة لا تجد لها تفسير، فمهما حاولنا إخفاء هذا الشّعور المتصاعد بصدورنا فإنّنا لا نستطيع أن نمنعه، كانت أحلامها بسيطة، لم تتمنىَ فارساً ولا رجُلاً يوفر لها قوتها ، ولا جِداراً تتكئ عليه كما في الأمثال فهى قادرة علي فعل كل هذا وحدها ، كل ما تمنته الحب ، وقفوا جميعاً فى وجهي بالرفض القاطع، يروها بلا مميزات كثيرة، تجاوزت الثلاثين ، تبخرت كل فرصها في الحياة في الإنجاب وفي أن تتمتع بزواج طبيعي، وضعوا تهديداً قوياً صريحاً، لن تتم هذه الزيجة.
وضعوني في ورطة أن أتحمل التكاليف وحدي ، أن أعتمد علي نفسي في هذه الزيجة التى لا ترقي لهم، لم يفهموا أبداً ما في نفسي ، لم يحاولوا فهم كيف يهفو قلبي.
كانت لي معايير جودة قي الزواج، نعم معايير جودة أخبرني عنها المجتمع كي أشتري نوعا جيدا غير معطوب وبكل المميزات، بأن يكون كل شيء استثنائياً
جميلة ...مثقفة ...تعليم جامعى ...ثرية ...مثل ما يطلقون علي المنازل (سوبر لوكس)، ثم سقطت منى كل المعايير في لحظة حين قابلتها صدفة، أجمل لحظة في حياتى كلها، رأيت وراء ابتسامتها الراقية فتاة محبطة لكنها قوية ، رأيت في روحها حزن وفي قلبها شفافية وفي داخلها جاذبية لم أعهدها من قبل .
فيها حب ومعنى..
ووراءها وجوداً قاسياً أوجعها...
تمتلك نظرة تحاول أن تتفائل للمستقبل ، غريبة أن نعلم كل شيء عن ما لا نعرف عنه أى شيء من مجرد نظرة، لكنها كانت أمامى كتاباً مشوق لقراءته.
لها جمال هاديء طيب برىء حزين، ولكنها لا تعلم كم هى جميلة ولا تثق بجمالها، لا تحاول الظهور بمثالية ولا تهتم كيف يراها الناس، شعرت أن بوجودها أنجو، وإنها الجزء الوحيد الذي يمكن أن أتعلل به كى أحيى...
وأعيش إنسانيتي.
رأيت في لحظات قليلة ما لم أراه عمرى كله، صارحتها بكل ما شعرت به ، صارحتها كم هى قريبة ، وصارحتها برغبتي بالزواج، وتعجبت كيف رأيت فيها كل هذا، ومتى استطعت أن أشعرها بكل ما فيها.
أرى فقط أنى وجدت كل شروطى الاستثنائية، وإن كان كل من حولي يراه قراراً غريباً، لكنه "الحب" ، الذي يجعلك ترى ما يراه الناس غريباً مقيتاً، شيء مميزاً واستثنائي ، الزواج مسألة شخصية، وقد دلنى إليها قلبي وإحساسي....
وأنا سأحرر نفسي من تلك القيود العقيمة.....
فربما كان الجميع علي خطأ .

البحث عن زوجة

يريد الرجل من زوجته أن تكون زوجته أولا ثم أى شيء آخر بعد ذلك، علمتنى الحياة الحقيقة في وقت متأخر جدا، من البداية إختارت لي الأقدار طريقاً مبشراً بالنجاح ، كنت متفوقة في الدراسة وبعدها في العمل، حتى قابلت زوجى وشجعني لازداد نجاحًا ، ذلك الرجل الذى ظل يساعدنى ويحرص علي استمرارى في النجاح، تعلمت منه الكثير والكثير، كان لي زوج وصديق وأب وأخ ، متواضعاً صبوراً محباً حريصاً أن نبقي صرحاء واضحين نتحدث بلا خوف أو لوم ، يرقبنى بإعجاب ويشجعني علي بذل مزيد من المجهود لأتقدم أكثر وأكثر، بيت زوجى كان جنتى علي الأرض، حتى ارتقيت في عملي وصرت يوماً مدير عام ، شعرت أنى أملك الدنيا، زوج وابن رائع وحياة عملية ممتازة، فعلاً وصلت لكل ما أطمح وأريد في هذه الحياة .

لكنى انشغلت في منصبي الجديد حتي أصبحت لا أراهم إلا لحظات قليلة أو يمر اليوم دون أن أراهم ، حتى أيام العطل، كانت تخذلنى قواى فأقضيها نائمة ، من شدة التعب .

حتى ذلك اليوم...

الذي همست فيه صديقتي في أذني قائلة :

(تزوج زوجك)

حاولت لحظتها أن أخفي انفعالي، هرولت عائدة الي بيتي مبكراً عن ميعادى لأول مرة بعد أن أصبحت مدير عام، صرخت به لأول مرة في حياتى ....ولم ينكر .

صرخت قائلة:...لماذا ؟؟؟

قال: ....لابد لكل رجل من زوجة .

أنتِ لم تعودى زوجة لى منذ أصبحت مدير عام ، أنتِ تعرفين استقامتى ، كان لابد لي من زوجة ،كنت عاجزة عن الرد وعاجزة عن التصديق، وهل أستحق ذلك فعلاً، هل أستحق عقاب بهذا الحجم، كيف تجاوزني ولم ينبهني، كنت عاجزة أيضا عن الرحيل، خيرنى أن أبقي أو أرحل ولن يغير هذا من الأمر شيء ، فقد كنت رحلت عنه منذ فترة .

هل تجاوزت ذلك الخيط الرفيع بين الطموح المشروع والطموح الجاحد، اختلطت أمامى الأوراق ونسيت أن أشارك عائلتى حياتها وأفكارها وأوقاتها لوهلة من الزمن وانفصلت عن زوجى معنويا بكل بساطة، كان يحبني وبحاجة إلي وجودى، غاب عنه أن ينتظرنى وأنا كنت دائماً غائبة .

أنا الآن أفقد سيطرتى علي نفسي، تشب في جسدى النيران كالحريق كلما فكرت أنه يحتضن أخرى ، وأنهار وأبكى ، بدأت أشعر بالوحدة والافتقاد ، حتي ابنى لم يعارض هذا الزواج ووجده حلاً يرضي كل الأطراف، كنت أرى في نظرته الجحود وأنا أتصنع أمامه القوة ، يقول أني أستحق النجاح بعملي و أبيه يستحق بعض الرعاية، وهذا حل مثالي للجميع، كيف ومتى أصبح بكل هذا البرود بلا مشاعر ولا إحساس لهذا الحد، أم هي وسيلته ليصرف عنه كل الأطراف فيبقي حرا طليقا بلا رقيب .

هنيئا لي..

قد أرضيت طموحى وفزت.....

قد أصبحت مدير عام ..... وضرة

قيد الأنثى

كانت صغيرة جداً، ولكنها كانت تقف أمام المرآة لترى، لماذا هى (ناقصة عقل ودين)
كان لها ذراعان وساقان ورأس، ووجه.
عقلها الصغير قال لها أنها ترى وتسمع وتتحدث، لماذا إذاً يقول لها أباها أن النساء ناقصات عقل ودين، كانت دائما تسمعها من أباها، كان دائم النقض لأمها، متهما إياها بالغباء والتخلف والعجز والكسل ، كلما سمعت أباها يقولها تجرى للمرآة لترى أين ما ينقصها .
عندما زاد عمرها قليلاً جاءت بمازورة قياس وقررت أن تقيس عقلها وعقل أخيها، فوجدت أن مخها أكبر، بعدها ما عادت تصدق أباها ، أول رجل كذب عليها في الحياة ثم لم يكن الأخير..
مرت بها الأيام والسنوات والمراحل ، قابلت العديد من الوجوه وبعض قصص الحب التى ماتت في المهد أو في أول نشأتها، هل لا تقابل إلا الكاذبين أو أن الجميع الآن كاذبون.
يشعرونها أنها ناقصة وأعطوا نفسهم صفة الكمال، كرهت جنس الرجال بالكامل بما فيهم أخاها الذي تميز عليها في كل شيء له الأولوية في الطعام ،له الأولوية في المصروف الأكبر، له الأولوية في التعليم الأفضل ، له الأولوية حتى في اللعب الأفضل، وفوق كل ذلك له حق الخطأ، ثم كبر واكتشفت أن له أيضا حق الخطيئة حين كانت نظرة الأسرة لها أنها عورة، أنها فضيحة، أنها عار يمكنه أن ينفجر في أية لحظة ويجب التخلص منها في أقرب فرصة، لم يكن لها حق اللعب والضحك والخروج والترحال، لم يكن لها فرصة الخطأ ...أما الخطيئة فتعني موتها...
وزاد كرهها لكل أسرتها بعد أن ماتت أمها،..
واشتاقت لأمها....
ابتسامة أمها
حضن أمها
حنان أمها
تراها ماتت قهرا
أو ماتت هربا من الهموم والأحمال والأعباء التى لا تنتهي....
"لماذا كان عليها أن تتحمل كل هذه الأعباء وفوقها الإهانة"، كانت هذه أقصي أفكارها، وأسوء كوابيسها ، لا يمكن أن يكون الله قد خلق النساء لتعذيبهم.
، لابد أن للمرأة شأن أهم وأكبر من هذا .
يوم أن نجحت في الثانوية ووصلت لكلية الإعلام لم يهتم أباها، قال لها (أى كلية وخلاص)، لمجرد أن يزيد التعليم الجامعي من مميزاتها عند الزواج، فقط ولا أكثر، وهل له فائدة أخرى ....؟

قالها بوجهها دون أن يراعي فرحتها ، لكن يوم نجاح ابنه الذي لم يصل لأي من كليات القمة لطم أباها وولول علي حظ ابنه وأصر أن يدخله إحدى الجامعات الخاصة، يومها قال (الولد إلى طلعت به من الدنيا)

كل هذه الظروف جعلتها تتحدى قيود هذه الأسرة لتصل، كانت متفوقة جداً متميزة في كل شيء، أنهت تعليمها بتفوق وجاءت فرصة العمل ،و كان الرفض قاطعا مانعا، وكانت تلك هي القشة التى قسمت ظهر البعير، تسللت هاربة الي بيت جدتها، قاطعها الأب واعتبرها ماتت .

عاش الأب لابنه فقط، بذل كل جهده من أجله، لكنها كانت أياماً صعبة ، لم يكن عبقري وكان كل ما به عادى ، لم يصل إلي أعلي تعليم ولا إلى أعلي وظيفة ولا إلى أعلي أخلاق ، كان عاديا في كل شيء و مرت سنوات قبل أن ترسل له ابنته إحدى الجرائد الشهيرة، مشيرة بالقلم إلي مقالة وجوارها إسمها وصورتها...

لمح على المقالة بقايا من إسمه، الذى أكتشف أخيرا أن هناك مخلوق آخر يحمله..

..

وتحت عنوان

ناقصات عقل ودين

كتبت:

(قال الرسول الكريم ""ما رأيت من ناقصات عقل ودين اخلب للب الرجل من إحداكن)

عندما لم يجدوا ثغرات قرروا اختلاقها هؤلاء ضعاف النفوس ومخربين الأديان، ولكن الحديث ليس تنقيص لوجوديةالمرأة، بل تشريف لها.

فهنيئا لك يا ناقصة العقل، سلب كامل العقل لبه إذا هام بكِ، تهيمون بنصف عقل سوياً وهذا ما أورث الحب صفة جنونه، رائع أن تحاولوا ألا تفقدوا عقولكم في الحب، ولكن الأروع أن تتذوقوا جنون الحب.

ناقصات العقل سلبوا عقول من اكتمل عندهم العقل، بل أثبت لنا التاريخ أن نساء قادت حروبا من الحرملك دون أن تظهر أبدا ، نعم هو أقصي تشريف فكيف لناقصة العقل أن تأتي بالرجل هائما قتيلا شريد عواطفه, ببساطة لأن الرجال "ناقصين عاطفة" فلا يمكنه الحياة إلا بإستيراد هذه العواطف ، لا يملكها ولا يصنعها ولا يبقيها هو يتغذى عاطفيا علي وجود من تملك كل المشاعر، علي وجود ناقصات العقل ، اللاتي أثبتن علي مر التاريخ أنهن المتفوقات والمتميزات والملكات، أنهن الأمهات، أنهن المحاربات، فما بالك لو اكتملت عقولهن، لابد أن يحمد الله كل رجل لأن كل سيدة تعمل وتدرس وتتعلم وتربي وتدبر أمور منزل ليست تعمل بكامل عقلها.....

وإن كنا خلقنا من نفس واحدة، وأعطاك الله النصيب الأكبر من العقل، فكن رجلاً كفاية لمحبوبتك، وكن بالعقل الكافي ألا تسلبك غيرها لبك، ولا تفقد عقلك عليها، بل أفقده معها ومن أجلها،أن الله كرم النساء رغم كل محاولات البعض لإثبات عكس ذلك...

كفاكي بحثا

في بداية الليلة جلست على فراشها قلقة متعبة كئيبة، تحادث نفسها "كفاكى بحثا، قد أنهكتنى، هناك أمور أهم من ذلك لامرأة علي مشارف الخمسين..."
لماذا مازالت تأتيها تلك الرؤية الغريبة...
تطوف هائمة شرقا وغربا، تبحث عن شيء لا تعرفه ولا تصل إليه، تدور محلقة لا جذور لها بأى مكان ، بل كل العالم مكانها، يطاردها غريب ، يشبه شيء تريده يقترب، لم يكن هذا الغريب الوشيك يقلقها ، بل أقلقها أنها قد تموت قبل أن تتمتع باقترابه الكامل.
تزوجت منذ سنوات، منحت أسرتها الكثير من الحب رغم أنه لم يُطلب منها ذلك، و ضحت بكل شيء من أجلهم قبل أن يُطلب منها ذلك
زوجها ، لم تكن علاقتهم عميقة ، لكنها اعتقدت دائماً أن العاطفة ليست بالضرورة أن تكون علي رأس أولوياتها ، اعتقدت أن الزواج يختلف وبه أشياء أهم من العبث بهذه الأفكار الطفولية ، تعجبت كيف يتوقع الناس أن الحب سيفتح لهم كل الأبواب المغلقة، لا يحمل الحب عصا سحرية يمكنها مس مصاعب الحياة وتغييرها.
أطفالها، تصدروا قائمة أولوياتها ، بذلت مجهود كبير ليكون لديها بيت شاسع يضج بالأطفال ، ركزت كل اهتمامها لبيتها وزوجها ولم تهتم لأى شيء آخر في حياتها، لم تكن من محبي المجازفة ، بل اعتنقت حياتها كما هى بكل ما تحويه .
كانت راضية بأن تكون حياتها انعكاس لحياة كل من حولها ، كانت تبدو في الظاهر الأم العملية القوية الواثقة ، رغم أن داخلها يأس لا تفهم سببه ، مرارة دائمة بحلقها وانقباض بصدرها ، لم تُظهر هذه المشاعر أبدا ، وبكامل إرادتها أخفت إحساسها الدائم بالفشل .
لماذا تشعر بالوحدة رغم وجود أسرتها ، الأمور بدأت تتغير، كبر الأطفال ، ولم يعودوا بحاجة إليها ، لا يهتموا بالبقاء جوارها ولا يتحدثون كثيرا معها ، رحلوا عنها ، ثم اتسع مع رحيلهم الفراغ داخلها .
تغير زوجها بعد تجاوزه الأربعين، استقرت أحواله المادية والعملية ثم رحل في مغامرات يريد تعويض ما ضاع من شبابه في الكفاح والعمل ، أصبح كل من حولها حاضر غائب .
عندما أغلقت جفونها واستسلمت لاحتلال الغفو ، غمرتها نفس الرؤية لكن بطريقة شديدة الإشراق ، تهيم وتطوف شرقا وغربا وكل ما حولها يشرق بضوء شديد، وصوت ملائكى يحدثها:

"العشق جوهر الحياة، يقرع أبواب الجميع يوما ما، حتى من يتحاشون الحب ومن يستهجنوه يبحثون عنه يوما ما "
ما زالت تبحث ولا تعرف عن ماذا ، ومازالت تجرى وتطوف بلا هدى ولا وجهة ، عندما عاد نفس الصوت يهاتفها
"إن لم تجازف بشئ ما يوماً ما في حياتك فأنت لم تحيى بعد"
ضربات قلب متسارعة ...وشيء من الرهبة يحتل كيانها....
عندما أيقظتها شهقة قوية تسحبها من أعماق حلمها كعادة كل صباح..

ليلة عرض

ترتجف أيديها الممسكة بالصينية ، لا تدرى لما الإرتعاش أهو خجلاً أم خوفاً، لم تستطع تفسير سر هذه العجلة من أسرتها ولا سبب هذا الضغط العصبي الذى تشعره من كل من حولها لنجاح هذا الجلسة ولا سر هذه السعادة بهذه الزيارة وماذا لو لم تنجح هذه الزيارة ، ما هى المشكلة المهمة إن فشل اليوم ، ببعض الأسي ومرارة الحلق دخلت وسط الهمسات المهللة...

»ما شاء الله ...»...«اللهم صل ع النبي »...«تبارك الله » ...«عروستنا قمر....«

مشاعر مضطربة ، أفكار متداخلة ،أصوات داخلها مربكة والعديد من الوجوه الجديدة هذه هى الصورة العامة للزيارة الأولي دائماً ، لم تكن أول تجربة لها في هذه الجلسات و لكن مازالت نفس الأفكار بداخلها ، ذلك السأم من عرضها علي العيون لتجنى القبول يوما والشرف الكبير في أن تكون من الفئة المُختارة.

تمشي ببطء إلي أقرب مقعد وتجلس بمزيد من الوقار، خطوات تعلمتها و كل مرة تتقنها أكثر من قبلها، عليها الآن أن تستمتع بمزيد من الفحوصات بأجهزة كشف الكذب وأجهزة تقصي الحقائق البشرية ، تتمنى أن يعلمها أحد كيف تستنبط شخصية العريس كما تخضعها العيون حولها للفحص وتلك الأسئلة الخبيثة والاستفسارات ومجموعة من الأفخاخ زرعت لها في كل مكان .

شعرت بالغباء لأنه لم يخطر ببالها أن تبحث عن أسئلة نموذجية لهذه الجلسات علي متصفح جوجل، فهو الوحيد الذى يجيبها عن كل استفساراتها الحرجة في الفترة الأخيرة ، لاسيما أن أمها تعتبر كل تساؤلاتها "تفاهة بنات"، وكل أفكارها عن الحياة وزوج المستقبل "عبط بنات"، لكنها لم نست أن تخبرها كيف تكون" عبقرية بنات..."

نكزة خفيفة من جانبها وهمسة بالكاد تُسمع "ابتسمي" أخرجتها من أفكارها، نست أن تبتسم ليعلموا أنها بشوشة الوجه وتِشرح القلب وترد الروح وهواها بحري وتطل علي البحر .....إلخ بدل أن تبتسم ابتسامة خفيفة، ابتسمت ابتسامة واسعة، أقرب إلى ضحكة سرعان ما تمالكتها قبل أن تبدو بلهاء، كيف أتاها هذا الهاجس الغبي الذي أصابها، هي ليست شقة للإيجار، تعتقد أن تلك الإبتسامة بدون وعى منها أظهرتها كعبيطة و عليها أن تتماسك أكثر لتؤدي دورها المكتوب بالنص لضمان النجاح، تخاف أن ترتجل فيهرب الجمهور وتواجه انصباب لعنات الأسرة عليها، مصمصة الشفاة والغمز واللمز والاستهزاء والاستنكار .

باغت أحد الأصوات قائلاً:

- طلبات العروسة كلها أوامر .

أرادت أن تضحك للمرة الثانية، لكن هذه المرة من مرارة السخرية، وفى نفس ذات الوقت عليها أن تكون شديدة الأدب والحياء رغم تلك الفجوة الواسعة من الكوميديا السوداء التي اتسعت داخلها وهى تنظر إليهم جميعاً وتنصت لحوارتهم المتصنعة .

طلباتها بسيطة ، أبسط من كل تعقيداتهم، تريده رجلاً ، فقط رجلاً وأولاً وأخيراً رجلاً ، رجلاً ًعاشق، يخطفها ، يسلبها عقلها ويفقد عقله معها، لكن لم تتكلم بطبيعة الحال ونظرت للأرض عندما عجزت عن التفوه بهذه الطلبات أمامهم، التى تعبر عن «تفاهة بنات«

-ما شاء الله عروستنا خجولة .

هذه الجملة أنهت النَص...

أُسدل الستار على الفصل الأول، الذى ختمه اتفاق مادي بكل متطلبات العروس غير الحقيقية ، رحل جمهور العرض سعيداً وأهلها أكثر سعادة لأنها قد نجحت أخيرا في تجاوز أحد العروض ، أما هي فلن يفهم أحد أبدا ما تريد وتشعر.

إنه يفقد عقله

رغم أن التواصل مع الناس من المتطلبات الأساسية إلا أن (حسام) فضل العزلة الإجتماعية، تلك العزلة الاختيارية المؤقتة التي يعالج بها الإنسان نفسه بنفسه، الرغبة في تجنب الشعور بالإزعاج الناتج عن التواجد مع الآخرين ، يشعر أن كل الأشخاص الآخرين وقحين أو عدوانيين و غير مرحين، يفضل أن يكون وحيدًا ويتجنب الجميع .

يعتقد أنه بدأ يفقد عقله.....

الإحباط واضطراب المزاج ونظرته السوداء التشاؤمية، ورفض مغادرة المنزل بالإضافة إلى الشعور بالقلق والعصبية وإغلاق الباب على نفسه، لابد أنها أعراض فقدان عقله .

لكنه اليوم لم يستطع أن يمنع (أحمد) بكل لزاجته وإصراره من الوصول إليه، كان (حسام)ينظر إليه ولا يتحدث، فقط يتذكر كل ما حدث بينهما .

)حسام)خريج حديث لأحد الكليات العملية ، وهذا جعله يعتقد أنه سبب كافي ليتميزعن الآخرين، هذا حين التحق بالعمل في أحد تلك المؤسسات الهندسية، وضعوه في غرفة ضيقة عقيمة معزولة عن الشمس والضوء والهواء النظيف، لكنها لم تمنع عزيمته من حب العمل، زميله بتلك الغرفة (أحمد)، من أول تعارف بينهم عرف أن زميله يتمتع بالكسل والجهل واللامبالاة التى يتمتع بها الكثير من العاملين، كان ينظر إليه كل يوم بشفقة، هذا البائس لن يطور نفسه أو يطور عمله ولن يصل إلى النجاح و التميز أبدا.....

أخرجه صوت (أحمد)من أفكاره العميقة وصمته:

_الأمور لا تسير بهذا المنطق يا (حسام).....

لم يكترث بحديثه الفارغ وهو يعود متسللاً إلى أفكاره ، منذ البداية كان (حسام) حريص علي أن يجنب (أحمد) كل الأمور المهمة وكل ما يحتاج إلي نشاط أو مجهود أو استخدام العقل، لم يكن الشخص الذي يُعتمد عليه لإتمام عمل بصورة متقنة، وهو من وضعه في خانة بلا عمل يذكر، لكن على الورق هو شريك عمل إجباري حتي وإن كان هذا مجرد ورق ، واستحب (أحمد) ذلك كثيراً وتواكل علي وجود (حسام)، وأصبحت مهمته تعتمد علي استقبال المدير عند الباب وتوصيله عند رحيله والرغي والمجاملات والتملق بلا داع .

و(أحمد) ينظر إليه مشفقاً على حاله وهو يخبر ذاته (مسكين)، لابد أن يحترمه مديره أكثر بالعمل وليس بالكلام وهو لا يعمل أى جديد يذكر إلا تملقه، في حين لا يجد هو الوقت لينظر إلي هذا المدير من انهماكه في تطوير هذا المشروع الذى يعمل عليه .

آتاه صوت(أحمد) المزعج مرة أخرى ليسحبه من أفكاره شاخطاً فيه بصوت عال:
_يا(حسام) استيقظ من غيبوبتك لم نكن نعمل في مؤسسة كفاءات، كنا نعمل في مؤسسة حكومية .
نظر له (أحمد) بكل غضب واستحياء وقرف مما قال ، قائلا بصوت غاضب:
_أنت سيء بكل شيء، لا أفهم كيف شخص وقح وسيء مثلك وبكل غبائك يرتقي ليصبح رئيسي بالعمل، لماذا أتيت، ألم تشبع شماتة بي بعد، ألم يكفك ما وصلت إليه بفضل مجهودي أنا ، ليس لدى الآن المزيد لأعطيك.
رد عليه بنفس الصوت العال صارخاً به ليستفيق:
_أتيت لأخرجك من غيبوبتك تلك، لترى الكون الحقيقي حولك، ألا تنظر لوجهك ومظهرك البائس بالمرآة، آن أوان أن تعيش الواقع بكل سيئاته .
صمت الإثنان، لحظة صمت قوية عميقة هادئة، لكنها ليست بالهدوء الظاهر، ينظرون لبعضهم نظرة غضب كل منهما يحمل منطق لأسبابه ، بينهما ألم وتاريخ ليس بهين والأنفاس والصدور والأفكار تتعالي، لكن بلا كلمات مسموعة .
يعتقد (أحمد) أن (حسام) سيفقد عقله، ولم يكن هو بالمقابل شخص سيء جدا،هو يحب زميله بالعمل، أحزنه كثيرا ما حدث، وأنب ضميره لأن (حسام) الإنسان الوحيد النظيف المجتهد الذى تعرف عليه في هذه المؤسسة، الوحيد الذى يعمل بضمير كأنها شركته، لكنه لا يفهم كيف تسير الأمور بالواقع ، إن ما وصل إليه (أحمد) كان فقط نوع من أنواع التعايش والمواكبة والتلاؤم مع هذا النظام الحقيقي، ففي هذا المكان كفائتك وحدها لن تكون كافية إن لم تتملق مديرك، وها هو رئيسه رد الجميل بترقيته ، إنها الفرصة الحقيقية ، لكن (حسام) لا يفهم ولا يستوعب.
طأطأ (أحمد) رأسه متألما ، لا يطيق النظر إلى ألم هذا الأخير، قام من مكانه وخرج تاركا صديقه لهمه .....
تاركاً إياه يفقد عقله...

الثمرة المحرمة

مساء الأنفاس المُتزايدة وَالعينان التَائِهة وَالشفتين الذَائبه التي تَجعل للمساء لذة أخرى صاخبة .
لم تكن هذه إلا رسالة أخرى من بين عشرات الرسائل التى اعتاد أن تصله كل ليلة، يتأمل الكلمات ثم يتأمل صورته المنعكسة في المرآة أمامه، لعينيه الضيقتين وتلك العدسات السميكة فوقها وشعره الذى تساقط كله وشفتيه التى لا تتمتع بأي جمال .
ثم يقهقه بصوته العالي، لقد حصل علي غزل لم يتخيله في حياته، إن هؤلاء الرجال يستحقون ما يحدث لهم، فكيف لهم أن يكونوا بهذه السذاجة بل بهذا الغباء .
أكمل قراءته.....
يشرفني صداقتك وأتمنى دائما التواصل وتبادل الأراء والأفكار والثقافات إنه شرف كبير لي التواصل معكم
وأتمنى أن أكون الصديق والسند في كل وقت خالص تحياتي وتقديري لحضرتك ،،،، أهم الصفات الشخصية : متدين ـ كريم - سخى ـ جـدع جـدا ـ صاحب صاحبه ـ رومانسي ـ Single
أهم هواياتي : القراءة ـ الرياضة بالذات الجـيم ـ السباحة ـ السفر ـ التنزه والرحلات
والسبب الذي جعلني أبدأ بالتعريف عن نفسي لأن للأسف كثير من رواد الفيس بوك سيئون دون المستوى الأخلاقي وطبعا الفيس بوك لا ينتقي الناس من بعضها لذا يجب على كل شخص يبدأ بالتعريف عن نفسه حتى نعلم ولو بالقليل نحن تحدث مع من ؟ و من هم أصدقاؤنا ...
تأفف في نفسه من سذاجة الرسالة، هل يتقدم لخطبته!!!!!؟ .

ضحك مرة أخرى ثم صرف نظره عن هذا العازب، هو دائماً يبحث عن ضحية متزوج وكذلك الحالة الاجتماعية بهذا الحساب المزور متزوجة متعمداً مقصوداً، فهو يعلم أن هذا النوع من الرجال ينجذبون كالذباب للعسل، هذا يجعل اصطيادهم أسهل، واختار اسم للبروفايل الشخصي يدل علي العاطفية وصورة لفتاة غاية في الجمال والفتنة ووضع المنشورات الرومانسية .
كل هذه مجرد أدوات لإثارة خيال هؤلاء الحمقي للإقتراب والحديث والفضفضة و التورط ، ثم حصاد غنيمته ، عندما يتذوق آدم الثمرة المحرمة ويخاف خروجه من الجنة .
لا يشعر بالذنب تجاههم، المتزوج الذى يبحث عن متعته علي النت يجب أن يدفع ثمنها يوما الحياة لا تقدم شيء مجانى .

ولو استطاع أن يحصد هذا الثمن بالدولار فقد وصل بيت القصيد، عيناه تتفحصان الرسائل بحثاً عن ضحيته الجديدة الذى يقدم نفسه بكامل إرادته فهو لا يحتاج لبذل أى مجهود لإجبارهم علي الحديث عن أدق تفاصيل حياتهم.
كيف هم بكل هذا الغباء ؟.....
(Good Morning, Bonjour, Guten Morgen,.Buenos dias, Buongiorno , God Morgon, Günaydın , Mirmengjesi ,Dobro jutro
,صباح الخير والورد والفل والياسمين بكل لغات العالم)
إني أحببت روحك وشخصيتك من كتاباتك ولأنك جميلة الخلق والصورة أيضا،في إطار الصداقة طبعا لا أكثر ولا أقل من ذلك، كم أرغب في التواصل معك لكني فوجئت على صفحتك بأنك متزوجة فخفت أن أطلب ذلك منك,,,!
تحياتي لك,,,
آسف جدا لو كنت أزعجتك
أنا مجدى المتولي من بني سويف....35 سنة
مهندس في إحدى شركات المقاولات .

شعر بالاشمئزاز والنشوة في آن واحد، ها هو غبي جديد، متزوج و يحب السقوط في الفخ بكامل إرادته، يحاول أن يصيد فريسة لكنه سيصيد صياده، يبدو أن رصيده في البنك سيزداد قريباً ، طالما مازالت هذه الكائنات تعيش وتتكاثر في هذه الحياة .
رد عليه كاتباً بكل ثبات:
"يسعدنى التعرف علي شخصية محترمة ومذواقة متلك....."
وقد كانت هذا بداية حديث طويل، بداية الطريق للثمرة المحرمة بداية النهاية لآدم آخر .

إنها الحياة عزيزتي

تسللت من تحت غطائها بعد أن أنهكها التقلب في الفراش ولم يزر النوم جفونها، خرجت للحديقة بين الأغصان المتشابكة وأوراق الشجر ورائحة الأزهار ونسمات الليل المنعشة، اتجهت إلي تلك الأريكة ونفضت عنها أوراق الشجر المتساقط وجلست جوار ذلك الشخص الذي تعلم أنها تعرفه لكنها لا تستطيع تبين ملامح وجهه في الظلام، وكأنها تستطيع تمييز صوته الهادئ الذى لطالما أحبت سماعه، وربتات يده الحنون علي كتفيها، كأنه يعلم أنها منهكة الروح وهو يقول لها:

_إنها الحياة عزيزتى ...تكون صفحة بيضاء ؛ نكتب بها ما نندم عليه، ثم نتفاجىء أننا لم نملك يوما ممحاة .

_لماذا نعيش اذا يا جَدى؟

إبتسامة الجد الودودة أهدتها بعض السكينة، تلك التى لطالما اشتاقت إليها،

وهو يخبرها بهدوء:

_حبيبتي، الرغبة لمعرفة لماذا وكيف نعيش يشغل الكثير من البشر وأعتقد أنه لا يحيي من لايفكر ومن يطرح هذا السؤال يفكر ومن يفكر هو موجود.

تطلعت إلى سواد الليل حولهما والسماء ونجومها وهى تهز قدميها بنفاذ صبر قائلة:

_الحياة موجعة مؤلمة، أحيانا يعتصرني الحزن حتى يكاد يختلع قلبي، كل العالم يتغير من حولي وأغترب فيه عن أحلامي.

عاد يقول لها:

_ما نراه لا يأتى من العالم الخارجي فقط بل يعتمد أولا علي دواخلنا، العالم لا يتغير بل نحن من يتغير ، نظل نعتقد أن الحياة لا تناسبنا، حتى نصل يوما أننا لا نكاد نناسب أنفسنا .

كأنه تسلل الي داخلها وسرد لها تفاصيل ما عجزت عن فكه وترجمته وحل شفراته ، تنهدت بحرارة ثم قالت:

_أشعر أنى أسقط بفخ يا جدى، أنا في المتاهة يختلط النور بالظلام، ولا أميز كيف الخطأ وأين الصواب؟...

مد ذراعه يلفها بحنانه، قائلا:

_تمييز الخطأ والصواب فطرى وكل قدرات القلب فطرية والضمير فطرة ، تلك أشياء يمكن أن لا نراها ولا نلمسها ولا يعرفها عقلنا لكن تدركها مشاعرنا وتميزها انقباضة صدورنا ، الإفلات من الضمير صعب كالإفلات من ظلك وقد لا نستطيع تقديم البراهين علي صوت ضميرنا ، لكننا رغم ذلك نميزه ونعرفه جيدا ، ضميرنا هو جزء من إنسانيتنا.

صمتت لحظات ثم قالت بصوت مختنق:

_أنا وحيدة جدا ، يرحل كل ما تمنيته يا جدى

قالتها ودموعها مكتومة بمقلتيها ، لا تميزها سوى لمعة عيونها لضي القمر فرد بصوت هامس بالكاد تسمعه:

_إن مرور الأيام لا تنسينا رحيل ما نحب ، لكنى أجزم لك أنها تداوى آلامه ، الزمن يداوى الجراح برغم ظهور ندباتها علي السطح.

غاصت تختبأ في سواد عباءته لعلها تختفي مؤقتا من هذه الحياة، تود لو ظلت معه الي الأبد، يغلفها الأمان والسكينة والنوم يتسلل إليها وآخر ما يتردد في أذنها صوته يقول بهمس خفيف :

_حبيبتي، أنت وحدك تملكين الاجابة عن كل تلك الأسئلة التى تطرحها نفسك .

أفزعها فجأة صوت المنبه من نومها ثم أدركت أنه انتزعها من حلمها القريب، نهضت مسرعة إلي النافذة لتطمئن...

فلم تجد حديقة قريبة..

ولا وجدت جدها قريب من هذه الحياة.

قيد المستحيل

الخبر قد انتشر.
بدأ الصحافيون في الهجوم علي منزل تلك السيدة المسنة في ظل هذه الحادثة غير العادية، يطاردونها محاولين الوصول إليها ، لكنها مازلت ترفض الحديث ، ترفض مقابلتهم، في حالة رفض لكل شيء.
رفض يتزايد داخلها ، حتى رفضت الاختلاط بالناس والخروج للحياة العامة بل والطعام والشراب وبدأت الأخبار تنتشر في الصحف أن السيدة التى أعتبرها الناس مؤخرا (سوبر وومن)، قد أصابها الاكتئاب ولا يعلم أحد ما سبب تلك الحالة بعد هذه القدرة الغير اعتيادية والمعجزة التى حققتها .
دائما تطاردها تلك الذكرى.....
ذلك اليوم سمعت فيه صراخ طفل صغير في الشقة المجاورة واشتمت روائح الدخان المتصاعدة، لكنها رغم كل الآلام المنتشرة في عظامها وسنها الكبير ووهنها وضعفها جرت إليه وأخذت تكسر باب تلك الشقة .
نعم استطاعت أن تكسره وكانت تعتبر أن كسر بيضتين مجهود كبير في نفس هذا الصباح، أنقذت حياة طفل في حين لم تستطع انقاذ حياتها .
منذ ذلك اليوم وهى مصابة بانهزام واكتئاب وتعاسة وحزن رغم كل الأحاديث حولها والتي تشيد ببطولتها .
جاء إليها ابنها محاولا الحديث معها ، وبعد مجهود كبير منه وتلطف وتحايل فتحت له بابها ودخل متلهفاً ومتسائلاً:
_لم أنت بكل هذا الحزن أمى،،،،،،،،،،،،
قالت:
_إنها تلك الحادثة اللعينة، لقد أيقظت شيء عميق داخلي و حطمت كل ما كنت أعتقده عن نفسي يوما، أسقطت كل الثوابت ، أطاحت بتلك الأفكار التى ظننتها مستحيلة .
_أي أفكار يا أمى ؟!!!،،،،،،،
ردت عليه بأسى:
_ حياتى كلها ضاعت وأنا أتغافل وأتنازل عن أحلام ظننتها مستحيلة، لقد صُدمت في حالي، إننا وبالرغم من كوننا نظن أن قدراتنا مميزة وفذة وأننا قمنا بحسابات حياتنا بشكل صائب وصحيح، إلا أن المصيبة تكون موجعة عندما نعلم أننا لم نكن نعلم الكثير من قدراتنا الحقيقية ، أيام مرت ظننت أننى أحقق فيها كل ما استطعت، ولم أدرى أننى قد تغافلت عن ما يمكن تحقيقه والفوز به في المقابل .
صمتت الأم....
وطأطأت برأسها أسفا....
أسفا أنها أضاعت كثير من فرص ظنتها مستحيلة.

أيها الراحل

إننا معقدين جدا من الداخل، تلافيف مشاعرنا أكثر تعقيدا من تلافيف عقولنا، وفك طلاسم النفوس ليست بهذه السهولة، كيف يمكن أن نحب ونكره ونغضب ونحن لنفس الشخص ، بل لا نتعلم ولا نستطيع أن نستوعب أن لكل موقف نمر به مشاعر مؤقتة تظهر علي السطح ولكن مشاعرنا الثابتة الراسخة مازلت هناك في الخلف .

لا تتغير أبدا ...

فتغضب ومازلت تحب...

تكره ومازلت تحب...

ثم تحن وأنت مازلت في الغضب....

وقد تضعف له وأنت به قوى....

يمر علينا الزمن ويرحل ولم نلقي نظرة الي هذا الخلف ونكتشف ما تكدس به ، أو نراه بعد أن فات أوانه ، ولم يعد يجدى ولا يهم .

هذا ما شعرت به كلما تذكرت صورة أبي يحمل طرف النعش فوق كتفه ، محني الظهر قليلا ، لا أعتقد أنه من ثقل الصندوق أو من حرارة الجو، فلا أعتقد انه يشعر أى شيء من الخارج، بل محني من الداخل، من ثقل نفسه ، تعلو وجهه ملامح العزة والكبرياء، حتي تلك الدمعة التى نزلت علي استحياء أسرعت للاختفاء بين قطرات العرق التى تكسو وجهه، سريعا تخفت قبل أن يراها أحد .

كنت أقف وراءه بعد أن قاموا بإغلاق الباب من الخارج، إنه الباب الوحيد الذى يفتح ويغلق من طرف واحد، فمن في الداخل لن يسعي للخروج أبدا ،جدي رقد في مثواه للأبد ،وأبي انحني علي ركبتيه يلقي نظرة أخيرة إلي تلك الفتحة المغلقة، ولا يشعر بوجود أحد .

أبى، كنت صغيرة ولم أعرف حقيقة شعورك وقتها أو أفهمه ، كنت أقف وراءك أتأملك في حين تتأمل أنت ذكرياتك معه.

لم أفهم جيداً ما في نفسك ، لكنى أفهم ما في نفسي، أعلم معني الأب جيداً ، أعلم أنك أبى ولا أحب أن أفقدك ، على يقين أن كل ما هو خير في حياتى يعود فضله إليك، ما تعمدته وما لم تتعمده ، بداية من أن يجعل الله جزء بداخلي يريد أن يشبهك كان هذا أكبر فضل في حياتى، أن تبرهن الأيام والحياة دوماً علي حكمتك وصحة نظرياتك التى لطالما رفضتها في البداية ثم اعتنقتها عنك كان هذا فضلاً منك أبي ، أن تلعب دور البطولة دائما في حياتى ، كان هذا فضلاً منك أبي .

أبى....

قد رزقني الله أعظم أب علي سطح هذا الكوكب ، أب يمتلك كل أنواع الحلم معنا بعد ما جعلناك تقاسيه من مشاكلنا، لديك طاقة التحدث والتودد والطبطبة برغم كل ما أنهكته داخلك مصاعب الحياة ، تفتحت عيناى علي الدنيا ، ألجأ إليك وتدللنى ، كيف كنت تمتلك الصبر لأن لا تقسو علي أبداً، والمبادرة الدائمة لأن لا ترفض لي طلباً، هل تعلم أنى اعتدت استغلال هذا فيك ،

فسامحني .

سامح أنانيتي التى سلطتنى عليك ومحاولات الاحتلال الدائم لكى لا أرى منافس لي في حياتك، ولكنك كنت عمودي الفقرى الأساسي، أتطور بحسب نظراتك، ونظرتك إلى، أتطور بتشجيعك الدائم وتفهمك ومساندتك ، أنت لعبت دور البطولة في تكوين شخصيتي، فلم أستطع أن أسمح لأى إنسان بمنازعتى فيك، طابت لك الحياة أبي .

ولابد أن الأب العظيم له أب عظيم مثله، فكيف أتحمل رؤيتك أمامى بهذا الألم ، أما أنت أيها الراحل ، فلن تعلم أبدا كيف كان غضبي، لم أستطع أن أسامحك يومها .

لم أسامح ذلك الثقل الذى خلفته في أبى، لم أسامحك غياب ابتسامة أبى التى اعتدتها، لم أراه بعدها يبتسم إلا ابتسامة متألم، ابتسامة كسير، ابتسامة أسير، لم أسامح رحيلك المفاجىء ، فلم تكن مريضا جدا مثل ما صور لي عقلي الصغير ، لم أراك راقداً تتصل الأنابيب بجسدك ، لم أراك ضعيفا، أو أراك تصلي جالسا كالعجائز، كنت أراك دائما بخير،

أذكر آخر لقاء بيننا، عرض أبى عليك كرسيا لتصلي، فرفضت ، وقفت أمامى تصلي ، وكنت أراك بخير .

ولم أنسى يوما آخر كلمات منك لى (أتمنى أن أشهد يوم عرسك)

ها أنت خنت أمنيتك لدى، فراشتك الصغيرة لبست فستان زفافها وبحثت حولها فلم تجدك، فأخبرنى كيف كنت أستطيع يومها أن أسامح مكانك الفارغ بين الزحام، أذكر فردك لذراعيك وابتسامتك العميقة وأنت ترانى أقبل من بعيد فتستعد لإلتقاطى .

كنت أغيب داخل عباءاتك السوداء الكبيرة، أغوص داخل ظلمات سوداء، هل تعلم أنها الظلمة الوحيدة التى لم أخافها في صغري، كانت تملأ قلبي نوراً، وتملأ روحى فرحاً، فلم أخشاها، بل أتعمد اللجوء إليها.

اذكر نداءك لي "ست البنات "

أنت لم تعرف كم تعثرت ست البنات وتمنت وجودك لالتقاطها، تمنت الاختباء في ظلمة عباءتك بعيداً عن كل الناس ، أيها الراحل عنا، لم أكن قوية جداً لأسامحك لوعة قلبي وتلوى مشاعرى و اشتياقى إليك.

كنت جاهلة جدا لأفهم أنك تتألم ، لم أكن ناضجة كفاية لأعلم أن الحياة ليست مكان للبقاء إنها فقط محطة رحيل وأننى سأفقد منها الكثير ، فالجميع يرحل بصورة أو أخرى ، بل قد يرحل راحل وهو في مكانه دون أن يدرك.

اكتشفت بعد سنوات طويلة وببطء شديد أننى أحد هؤلاء الراحلين، أنى رحلت كثيراً ولم أدرك ، أنى كنت أرحل أحياناً عمداً أو غباءاً أو ضعفاً ، اكتشفت أنى رحلت كثيراً خلال مرور الأيام ولم أعتذر يوما.

ميلاد_شهيد_إرهابي

لم يكن ذلك سهلاً ، لم تكن حياته سهلة ، لا يتخيل ما يقاسيه من عاش حياته في الشوارع إلا من عاشها، الشعور بأن المجتمع لفظه ، تخلي عنه، ليس شعوراً محتملاً ، قذف به إلي أحضان الشارع القاسية الموحشة التى لا ترحم منذ ماتت أمه الحنونة في سنوات عمره الأولي وانقطع عنه حنانها، ولا يدرى لما كان يجب أن يتزوج أبوه من هذه السليطة الجبارة، لكنه يعلم أنه مات في عيون العالم يوم أن ماتت أمه لم يعد له مكان هناك .

قد لا يذكر تفاصيل ملامحها جيداً، لكنه لا ينسي أبدا تفاصيل حبها وحنانها ولم ينقطع إشتياقه لها في كل لحظة من لحظات حياته، الكيان الوحيد الذى له معني في حياته البائسة، اضطر في وقت ما أن يتعلم فنون النصب والاحتيال والسرقة لكي يعيش، فإما أن يتكيف مع الشارع أو يضيع ضحيته، كان يكره نفسه، يكره حياته ويكره اضطراره لهذه الحياة، ومازال داخله ما يحب التطهر رغم إثم كل ما لحق به .

حتي ذلك اليوم...

أمسك به شاب متلبسا في محاولة سرقة داخل بيت الله ، داخل أحد مساجد الحى الذي يعلم كل من به أنه صايع ضايع ورد سجون ،

يعلم ما سيحدث له الآن .

علقة سخنة ثم يعود الي أحد السجون يعانى الضرب والتعذيب والإهانة والإغتصاب، ولكن حدث عكس ما تصور، منع الشاب الناس من مسه وأخذه إلي بيته و قدم له عشاء دافىء و فراش مريح وابتسامة .

كان يبتسم في وجهه ويكلمه بمنتهي اللين والود كأنه صديق قديم اشتاق لقاءه، جلسا للأكل سويا وشد معه أطراف الحديث، دردشات بلا هدف أو هكذا كان يري، ثم عند سماع الآذان قام وتوضأ و مد يده له بسجادة الصلاة وقال بصوت هادىء مريح مبتسم وطلب منه الوضوء ثم قال ..."ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله....."

نظر له لوهلة، لحظة صمت وإجلال رهيبة .

اقشعر بدنه كله ثم بكى..

هو نظيف من الداخل رغم ما قذفته به الحياة من قذارة، لذلك بكى..

بكي بشدة...

بكى كما كان يبكى يوم ماتت أمه وذهب معه الي المسجد وعندما هم أن يصلي تذكر أنه لا يعلم أى آية ليصلي بها كان يسمع الهمهمات من حوله فقط، لكنه صلى بقلبه بما عجز لسانه

عن نطقه، أول مرة يصلي فيها وأول مرة يدخل المسجد بغرض آخر غير السرقة لأول مرة يشعر بطهارة في داخله ،
وراحة في باله ،
وهدوء في نفسه .
كأن مصباح معطلاً داخل قلبه أنار فجأة .
من هنا كانت البداية الجديدة، النفس الجديدة ، أخذه الشاب ليتعلم دينه وسط الجماعة، وانشرح قلبه لذكر الله، تعلق بحب الله وتمنى خدمة دين الله .
كان ما يقدم له هو كل تاريخه وعلمه عن هذا الدين ، الذى وجد فيه سلوته عن قسوة الحياة ، ووجد في إخوته حب وقرب وتآخى لم يراه من غيرهم في عمره كله ،
تكلموا معه عن الجنة عند الله ،
"الجنة"
كم تمنى أن يذهب إليها ليكون إلي جوار أمه ، هذه الطيبة الجميلة البشوشة، لابد أن تكون الجنة هى المكان الذى يصل إليه أمثالها، آلمته الحياة وأصبح أمله الوحيد ،
الجنة ،
ولقاء أمه .
سأل أخاه :كلمنى عن الجنة .
فقال له : الجنة يا أخى هى نعيم الله بعد قسوة الحياة ومصائبها، بها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي بال بشر .
هو : كيف السبيل إليها.
الأخ: صلاح العمل ، واستواء القلب ونقاء السريرة، البعد عن كل ما حرمه الله ، أن ترتكز علي أركان الإسلام الخمس ، ثم الثواب الأكبر...في الجهاد، الجهاد يا أخي، ثم الجهاد .
ونسوا أو تناسوا أن يذكروا له كيف الجهاد، الأمر كله يدور حول الحقيقة الناقصة، كيف تقدم السم وسط حلاوة وشفاء ونقاء العسل ، كيف تنحت فن ازدواج المعايير .
ثم حدثوه عن الشهادة ،
الشهادة في سبيل الله .
علمه أخاه:
"لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون....."
هنا كانت نهاية القصة وبلوغ الهدف وعقد العزيمة .
ربط حزامه الناسف ،
وذهب به إلي هذا الرجل الذي قتل الكثير من طائفته وممن اعتبرهم إخوانه، يجب القصاص (لكم في القصاص حياة يا أولى الألباب)
لم يكذبوا عليه، فقط لم يذكروا الحقيقة كاملة، طمسوا معالم الحقيقة ، بصور غير كاملة، لم يكن له حبيبة ليودعها، لا أهل ليذكر بعض ذكرياته معهم، لم يكن هنا جميل له ليتذكره، راحلا غير آسف علي ما ترك خلفه ،
سعيدا بأمل الجنة وأمل لقاء أمه .

إقترب من مكان السيارة، وبدون تردد ، بكل اصرار، ضغط علي الزر الناسف ، ودوى الانفجار هائل ،
صم الآذان ،
ومات....
ومات معه السياسي ،
و مات ذلك الضابط الذي ودع زوجته صباحاً واعداً إبنه بهدية عيد ميلاده عند عودته،
ومات العسكرى المسكين الذي ترك أمه في البلدة واعدا إياها بالعودة قريباً ،
ومات السائق الذي استلم العمل من عهد قريب أملا أن الحياة أخيرا تبتسم له مع الوظيفة الجديدة ، وماتت الطفلة وأمها الذين عبروا الشارع مصادفة في نفس اللحظة .
هيمن الموت على الموقف،
واختلطت الدماء متصارعة بين الحق والباطل، في مشهد درامى حفرته وحفظته العقول، لم يكن في الإمكان تمييز الدم الصالح من الطالح .
عند مشهد الموت الجميع سواسية، الكل يموت بلا تمييز .
في صباح اليوم التالي ،
كانت عنوان الصحف إرهابي هدد أمن البلاد،
وفي شبكات التواصل الاجتماعى، انشق الناس علي أنفسهم لقبه البعض "الشهيد"، الذي غار علي وطنه وقتل السياسي السفاح مادحين دمه الحر، وقلبه النقي .
ولقبه البعض "الإرهابي"القذر، منددين بما فعل، منادين بضرورة مواجهة هذا النوع من الإرهاب.
والبعض متعاطف ينظر للمشهد أن الدم كله حرام.
هذا ما يحدث عندما يلفظ المجتمع أبناءه و يتوقع منهم رد الجميل ،
هذا ما يحدث ليولد ،
" شهيد إرهابي"

تعث

هند مصطفى